قال الله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية . سورة يوسف

أحسن القصص

لواضعه

السيد

علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

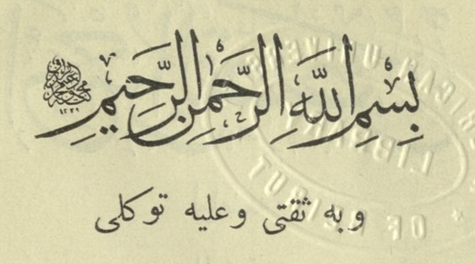
الجزء الثالث

الخلفاء الراشدون

رضوان الله عليهم أجمعين

الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



وبه ثقتى وعليه توكلى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ، فلما كانت سير الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، شاملة لما يحتاج اليه الناس فى حياتهم الدنيوية والأخروية ؛ لأنها حافلة بالأمثال العالية ، والأخلاق الفاضلة ، والأعمال الصالحة والمناقب الشريفة ، والأدلة المنيفة ، التى تهدى الخلق ، لاتباع الحق ، والسير على الصراط السوى

وكان من الواجب على كل مسلم اتباعها ، والأخذ بها ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ »

وقول الإمام الشافعى رضى الله عنه فى مدحهم :

« شهدت بأن الله لاربَّ غيره وأشهد أن البعثَ حقٌ وأخلص »
« وأن عُرى الإيمان قول مبين وفعل زكى قد يزيد وينقص »
« وأن (أبا بكر) خليفة ربه وكان (أبو حفص) على الخير يحرص »
« وأشهد ربى أن (عثمان) فاضل وأن (علياً) فضله متخصص »
« أئمة قوم يهتدى بهداهم لحى الله من إياهم يتنقص »

لما كانت كذلك ، أردت أن أشرح فى الجزء الثالث من كتابى أحسن القصص ، خلاصة سير الخلفاء الراشدين وأعمالهم ومناقبهم ، وما جاء من الأحاديث النبوية وغيرها فى فضائلهم ، ومحاسنهم ، وشذرات من كلامهم ، ومواعظهم ، وخطبهم ، ووصاياهم ، لتكون نبراساً لهداية أبناء الأمة المصرية الى الطريق المستقيم الذى يوصلهم الى النجاح والسعادة فى الدنيا والآخرة

والله تعالى أسأل أن يوفقنى و إياهم لاتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ، وأن يلحقنا بهم فى الدار الآخرة ، وأن يحشرنا فى زمرتهم ، إنه السميع المجيب ؟

مصر الجديدة فى يوم الجمعة — السيد على فكرى
٢٠ المحرم سنة ١٣٥٣ — ابن المرحوم
٤ مايو سنة ١٩٣٤ — السيد محمد عبد الله

١ – أبو بكر الصديق رضى الله عنه

نسبه – هو أبو بكر عبد الله . بن أبى قحافة عثمان . بن عامر . بن عمرو
ابن كعب . بن سعد . بن تيم . بن مرَّة . بن كعب . بن لؤى . بن غالب . بن
فهر التيمى القرشى ، ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرَّة بن كعب

وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو . بن كعب . بن سعد .
ابن تيم . بن مرَّة . وهى بنت عم أبى قحافة

فهو قرشى ، من أبوين قرشيَّيْن

اسمه ولقبه فى الجاهلية – كان اسمه (عبد الكعبة) فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم (عبد الله) ولقّب (عتيقاً) لأن النبى صلى الله
عليه وسلم نظر اليه فقال : هذا عتيق من النار ، وفى رواية أخرى :

« من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر »

وفى حديث عن عائشة رضى الله عنها : أن أبا بكر دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار) فمن يومئذ سمى عتيقاً

وهناك أحاديث أخرى فى ذلك

وكان يلقب فى الجاهلية (بالصديق) لما عرف عنه من الصدق ،
وقيل : لمبادرته الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به

وفى حديث عن على بن أبى طالب أنه لما سُئل عن أبى بكر قال : ذاك امرؤ سمَّاه الله الصديق على لسان جبريل ، وعلى لسان محمد ، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا

وفى حديث آخر : أن عليًا قال على المنبر : ان الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقًا

وقد أجمعت الأمة الإسلامية على تلقيبه (بالصديق) لأنه أول من بادر الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به ، ولازم الصدق طول حياته ، فلم تقع منه هناة ما ، ولا وقفة حال من الأحوال ، وكانت له المواقف الشريفة العالية فى نشر الدعوة ، ورفع علم الإسلام

مولده — ولد رضى الله عنه لسنتين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهر بمكة أى قبل البعثة بنحو ٣٨ سنة فهو أصغر من النبى عليه الصلاة والسلام بسنتين وأشهر ، كما ثبت ذلك فى التاريخ

نشأته وجمل صفاته

نشأ رضى الله عنه كما ينشأ أبناء كرام العرب ، متشبعاً بالحرية، وعزة النفس ، عفيفاً ، عالى الهمّة ، وشبّ على الأخلاق الفاضلة ، والسير الكريمة ،لم يسجدلصنم قط

ومما يدل على ذلك ، وعلى رجاحة عقله ، وعدم استعداده لقبول خرافات الجاهلية، ماحدث منه وهو صغير ، حينماأخذه والده الى معبد فيه أصنام وقال له : اسجد لآلهتك الشم العوالى

فدنا من الصنم وقال له :إنى جائع فاطعمنى . فلم يجبه

ثم دنا منه وقال له : إنى عطشان فاسقنى . فلم يجبه

ثم قال له : إنى عارٍ فاكسنى . فلم يجبه

فأخذ صخرة وقال : إنى ملق عليك هذه الصخرة، فان كنت إلها فامنع عن نفسك ، فلم يجبه ، فألقى الصخرة عليه ، فخر لوجهه

وقد نزل القرآن بما يقرر ذلك ، قال الله تعالى :

﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِى اُسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام

وكان عفيف النفس، فلم يشرب فى الجاهلية خمراً مطلقاً

وفى حديث عن ابن عساكر عن أبى العالية الرباحى قال : قيل لأبى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله؛ فقيل : ولِمَ – قال : كنت أصون عِرضى ، وأحفظ مُروءتى ، فان من شرب الخمر كان مضيعاً فى عِرضه ومُروءته ، قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدق أبو بكر ، صدق أبو بكر

ولما صلب عوده ، واشتد ساعده ، اشتغل بالتجارة كأكثر قريش ، وأخص ما كان يتجر فيه (البزازه) بيع الثياب ، فكسب ثقة العرب بأمانته ، ولين طباعه ، ودماثة أخلاقه، فأحبّوه وخضعوا لرأيه ، واطمأنت نفوسهم اليه ، وأحلوه المقام الرفيع بينهم

وكان أعلم الناس بأنساب العرب ، خبيراً بأحوالهم وسياستهم ، فأثرى وأضحى ذا مال وفير ؛ ولكن لم يطغه ذلك المال. إذ كان بالناس رحيماً ، وعلى الفقراء والمساكين شفيقاً ، يصل الرحم ، ويصدق الحديث ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الدهر ، ويقرى الضعيف

إسلامه

لما شرف الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة كان أبو بكر أول رجل أجابه للإسلام حتى قال عليه السلام : (ما دعوت أحداً الى

الإسلام إلّا كانت له كبوة غير أبى بكر)

وقيل : أسلم أبو بكر وعمره سبع وثلاثون سنة وقيل : ثمان وثلاثون وعاش فى الإسلام ستا وعشرين سنة

وفى حديث عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كلمت فى الإسلام أحداً إلا أبىَ علىّ وراجعنى الكلام إلاّ (ابن أبى قحافة) فانى لم أكلمه فى شىء إلا قبله ، واستقام عليه

وفى حديث آخر عن البخارى عن أبى الدرداء قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ إنى قلت : أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت

ولما سُئل ابن عباس : أى الناس كان أول إسلاماً ؟ قال : أبو بكر الصديق ، ألم تسمع قول حسان حيث يقول :

« إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا »
« خير البرية أتقاها وأعدلها إلاّ النبى وأَوْفاها بما حملا »
« والثانى التالى المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسل »

وقال ابن عساكر عن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أنه قال : لما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تفانى فى تأييد الإسلام بجاهه ، وماله ، وحسن أدبه ، وحسن معاملته واستمالة الناس إليه

فكان يجتمع إليه كرام قومه، فيدعو من يثق به منهم إلى الإسلام، فأسلم على يديه خلق كثير، وفى مقدمتهم عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص، وهؤلاء هم السابقون الأولون، ثم فشا ونما الإسلام بعد ذلك

ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم كان أبو بكر يشترى من ماله الموالى المعذبين على الإسلام، لانقاذهم من الآلام فيعتقهم، ابتغاء وجه الله، شفقة منه، ورحمة بهم، ليخلصهم من أيدى سادتهم الذين كانو يقسون عليهم لإسلامهم ؛ ومن هؤلاء الموالى : بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعامر بن فهيرة، وغيرهما

وفيه وفى بلال يقول عمر رضى الله عنه : إن أبا بكر سيدنا وقد أعتق سيدنا

أخرج ابن جرير بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال أبوه: أى بنىّ أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلداً يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك

قال : أى أبت ، أنا أريد ما عند الله

وقال المرحوم عبد الحليم أفندى المصرى الشاعر فى قصيدته البكرية:

« أريتَ بِلالاً والسياطُ كأنها مدالع نارٍ تترك الماء ذا كيا »

« وإيمانه تحتَ المنية راسخ إذا زحمته لم تَنَلْ منه راسيا »
« فلما أفاضَ النفس إلاَّ صُبَابة إذا ما رآها الموتُ لم يدر ماهيا »
« أطلت عليه رحمة الله من يدٍ ترى البرق فى ديباجة الغيث وانيا »
« رأى نورَ عيش فى ظلام منية يلوحُ أبو بكر به مُتهاديا »
« تعرضَ ما بينَ الحِمَام وبينه وكان له فى الله بالمال فاديا »
« كريمٌ يرىَ مافى يد الناس فانيًا وليسَ يرى ما فى يدِ الله فانيا »

صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

صحب أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلى حين توفى، لم يفارقه سفراً ولا حضراً، إلا فيما أذن له فى الخروج فيه من حج وغزو ، وكفاه فخراً أنه حاز شرف الصحبة فى الغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم لقوله تعالى :

﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ التوبة

وقد دخل الغار قبله ، ليزيل ما به من سوء ، وأقام معه ثلاثة أيام وعينه من أجله لا تنام ؛ وكان مخلصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفديه بنفسه وماله ، وترك أمواله وأولاده وهاجر معه إلى المدينة ، وأعد الزاد والراحلة ، ثم أقام فى المدينة يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويؤيده ، وزوّجه ابنته أم المؤمنين السيدة (عائشة) رضى الله عنها وعمرها تسع سنوات ، وشهدمعه المشاهد كلها، وكان يحمل رايته العظمى فى آخر غزواته وهى (غزوة تبوك) ويدافع عنه ، ويقف فى وجه الأعداء دونه

محبة الرسول له وتعظيمه

كان أبو بكر أحب رفيق لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قال فى تعظيمه النبى عليه الصلاة والسلام : « ما أحد عندى أعظم من أبى بكر واسانى بنفسه وماله ، وزوّجنى ابنته، وصحبنى فى الغار، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ؛ ولكن أخوة الإسلام »

وقال صلى الله عليه وسلم : لا طلعت الشمس، ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر ، إلاّ أن يكون نبى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : هل قلتَ فى أبى بكر شيئاً ؟ قال: نعم . فقال:قل، وأنا أسمع . فقال :

« والثانى اثنين فى الغار المنيف وقد — طاف العدو به إذ صعد الجبلا »

« وكان حِبَّ رسول الله قد علموا — من البرية لم يعدل به رجلا »

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : صدقت ياحسان ، هو كما قلت

وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه فى آخر صلاة صلاها فى المسجد: « إن مَن أمنِّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر؛ ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين باب إلاَّ سُد، إلا باب أبى بكر »

وفى رواية أخرى : لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر

خلافته

لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض الموت استخلفه على الناس فى إمامة الصلاة ، وهى الإمامة الكبرى، وقال : فليُصل أبو بكر بالناس وفى هذا أعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده ، وهذا من أهم الأسباب فى توليته الخلافة

والأحاديث الواردة فى خلافته كثيرة فلنذكر منها ما يأتى :

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم تسأله شيئاً ؟ فقال لها : تعودين فقالت : يارسول الله إن عدت فلم أجدك ٠ فقال: إن جئتِ فلم تجدينى فات أبا بكر، فإنه الخليفة من بعدى

وأخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها سُئلت : مَن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر. قيل

لها : ثم مَن بعد أبى بكر ؟ قالت عمر . قيل لها : مَن بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح

وأخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : مرض النبى صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال : (مُروا أبا بكر فليصل بالناس) فقالت عائشة : يارسول الله إنه رجل رقيق القلب ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ؛ فقال : مُرى أبا بكر فليصل بالناس ؛ فعادت، فقال : مُرى أبا بكر فليصل بالناس، فانكن صواحب يوسف ، فصلى بالناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى ذلك يقول الشاعر المرحوم عبد الحليم المصرى :

« وَمَا بعدُ ما قالَ النبى لزوجه ... وأعضاؤه ُينصتنَ للموتِ دابيا[1] »

« مُريه يقُم بالمسلمين مُصليًا ... فان كنتُ فيهم أولاً كان ثانيًا »

« فقالت أبو بكر رقيقٌ فؤاده ... إذا قام بينَ الناس هاجَ البواكيا»

« فقال أتأباه صوَاحب يوسفٍ ... وغيرَ أبى بكر أرى الله آبيا »

« ولم يدَّكر فى قبضة الموت غيرَه ... طبيبًا لأدواء الإمامَة شافيا »

وفى حديث ابن عمر : كبَّر عمر ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره ، فاطلع رأسه مغضبًا ، فقال : أين أبو قحافة ؟

قال العلماء : فى هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل

---

(١) ماشياً رويداً

الصحابة على الاطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بالإمامة

وأخرج البيهقى عن الزعفرانى قال: سمعت الشافعى يقول: أجمع الناس على خلافة أبى بكر الصديق، وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبى بكر، فولوه رقابهم فهو شيخ المسلمين حقاً، وأول الخلفاء الراشدين، وخليفة رسول رب العالمين

مبايعته بالخلافة

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائباً فى أهله بالسنُح [١] فلما أتاه نعيه أقبل على الناس، فوجدهم فى اختباط عظيم لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم المصدق، ومنهم المكذب، وهاجوا واضطربوا، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكشف عن وجهه وقبَّله، وقال:

بأبى أنت وأمى، قد ذقت الموتة التى كتب الله عليك، ولَن يصيبك بعدها موتة أبداً

ثم خرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«أيها الناس، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان

(١) هى منازل بالعوالى بينها وبين المسجد النبوى ميل

يعبد الله فإن الله حى لا يموت، ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ آل عمران

وفى ذلك يقول الشاعر المذكور :

« فلما استبان الموتَ حيًّا بأبلج مُسجًّى من الاشراق يحسبُ صَاحِيًا »

« أهابَ بهم ياقومُ مات محمد وألقى على شطّ الخلود المراسيا »

« فمن ظنَّه ربًّا فقد مات ربُّهُ وإلاَّ فان الله ما زال باقيا »

« وعاد وجُرح الجاهلية سائلٌ على جانب الإسلام أحمرَ قانيا »

فكان أبو بكر فى هذا الموقف الحرج أجلد الناس لفراقه صلى الله عليه وسلم ، وأربطهم جأشًا، وأقواهم عزيمة ، وأشدهم بأسا ، فصار قدوة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تخفيف جزعهم وحزنهم

وبينما كان الناس مشتغلين بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتجهيزه جاء مخبّر فأخبرهم باجتماع الأنصار فى (سقيفة بنى ساعدة) بقصد المفاوضة فى شأن الخلافة ، فأسرع إليهم أبو بكر وعمر ، وجماعة من المهاجرين ليتداركوا الأمر قبل افتراق الكلمة ، فأتوا الأنصار ، وقد اجتمعوا بالسقيفة يبايعون (سعد بن عبادة) فأعجلهم المهاجرون عن أمرهم ، وغلبوهم عليه ، ووقع بينهم وبين الأنصار كلام كثير ، حتى قال بعض الأنصار

(منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش) وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات

فقال عمر لأبي بكر : أبسط يدك ، فبسط يده فبايعه ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم الأنصار، ثم كانت البيعة العامة ؛ وتخلف عن بيعته على وطلحة، والزبير ،وبنو هاشم ، لما كانوا يتوقعونه من مصير الخلافة إليهم وعدم صرفها عنهم

ولما رأى بنو هاشم انحياز الناس إلى البيعة لأبي بكر واتفاقهم على الرضا بخلافته لما ثبت عندهم من (أن الخلافة غير النبوة) وأن أبا بكر أحق الناس بها، بعد أن أنابه عنه رسول صلى الله عليه وسلم فى الصلاة بالمسلمين فى حال مرضه ، أقبلوا على بيعته، وبايعه على رضى الله عنه بعد أيام على الأرجح

وأخرج ابن عساكر عن على أنه قال : لقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس، وانى شاهد وما أنا بغائب ، ومابى مرض ، فرضينا لدنيانا ما رضى به النبى صلى الله عليه وسلم لديننا

وأخرج النسائى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال :

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : (منا أمير ومنكم أمير) فأتاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر

أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟

فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر

وأخرج موسى بن عقبة والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال : خطب أبو بكر فقال :

«والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً، ولا ليلةً قط ، ولا كنت راغباً فيها ، ولا سألتها الله فى سرٍّ ولا علانية ؛ ولكنى أشفقت من الفتنة ، ومالى فى الإمارة من راحة ، لقد قلدت أمراً عظيماً ، ومالى به من طاقة ، ولا يد إلاَّ بتقوية الله »

فقال على والزبير : «ماغضبنا إلاَّ لأنا أخرنا عن المشورة ، و إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الغار ، و إنا لنعرف شرفه وخبره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حىٌّ »

وقال ابن اسحٰق فى السيرة : حدثنى الزهرى قال : حدثنى أنس ابن مالك قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة ، وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله قد جمع أمركم على خيّركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثانى اثنين إذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه »

فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس فانى قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ عندى ، حتى أريح عليه حقه إن شاء الله والقوىُّ فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلَّا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلاَّ عمَّهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله »

هذا كلام يمثل معنى الرياسة العامة فى الإسلام ، تمثيلاً تستكن أمامه القلوب التى أشربت حب العدل ، وتقصر عن التطاول إلى نتائجه أعناق زعماء الحرية فى كل أمة وجيل

كلام صدر عن أول خليفة فى الإسلام ، يبشر الأمم بنزع أغلال الذل والاستعباد من أعناقهم ، وانتزاع قيود السيطرة الجائرة من أيديهم وأرجلهم ؛ بل كلام يقرر صاحبه أول قاعدة للحكومة فى الإسلام ، ويسجل الشقاء على من تسامح بها من المسلمين ، كما قال المرحوم رفيق بك العظم فى كتابه (أشهر مشاهير الإسلام)

ولقد أظهر أبو بكر الحزم والعزم فى خلافته ، وجمع كلمة المسلمين ، واشتد فى انفاذ ما كان يريده صلى الله عليه وسلم من فتح ممالك كسرى وقيصر

وفى ذلك يقول الشاعر السالف الذكر :

« نَهضتَ بأمرِ الناس والدينُ لم يزل ... رضيعاً بأطراف الجزيرة حابيَا »

« فلولاكَ عُلتَ الأمرَ بعدَ محمد ... لهدُّوا مِنَ الإِسلام ما كان بانيَا »

« وأوشكَ جيشُ الشام يطوى لواءهُ ... ويصدفُ عمَّا كان لله ناويَا »

« وقال رجال للخليفة : لذ بهِ ... إلى السِّلم وارفأ بالرجال الحواشيَا »

« فقال : وأيمُ اللهِ لو أنَّ أذؤبا ... تخطَّفْنَ لحمى أو حَسَونَ دمائيَا »

« لمَا كنتُ عن رأى النبى بعادلٍ ... ولو أنني وحدِى خرجتُ مغازيَا »

أكَفُّ ابنِ عبد اللهِ تعقدُ راية ... وكفُّ أبى بكر تحلُّ الأواخيَا »

« فقالوا : وطبعُ الجاهلية لم يزل ... يرى الجاهَ إلا بالحسَابة واهيَا »

« ذرُوا عمراً يفضى إليه بأمرِنا ... فانا أبينَا أن نطيع المواليَا »

« فَشُقَّ رِواء عن أسامة راكباً ... يشيِّعهُ فيه الخليفة ماشيَا »

« أتمشى أبا بكر ، وإنك إن تشر ... لطاولتِ الأعناق فيك المذاكيا [1] »

« رضيتَ بها فى الله لا فى أسامةٍ ... لتُخضع بالإحسان من كان عاصيا »

إلى أن قال :

« وقفت أمام الجيش ترفد [2] أسَّهُ ... وتضرم فى تلك العواطف خابيا »

« تقول لهم لا تحملوا غير زادكم ... ولا تفسدوا عذبًا من الماء جاريا »

---

(١) الخيل (٢) رفد الجدار (دعمه)

« ولا تَهلِكوا زرعًا ولا تهتكوا حِمًى ولا تَستبيحُوا نسوةً أو ذرَاربَا »

« ولا تُحرقوا باللائذين كنائسًا ولا تهدِموا باللاجئين مغانيا »

« ولا تُرهقوا الأسرى فربّ محارب

إلى الحرب يسعى مُكرَها لا مُعادِيا »

إلى أن قال :

« وقالوا نرى الأخطار تُحدِق بعدنا

بمن ظلّ فى جوف المدينةِ ثاويا [1] »

« فما كنتَ فى رأى النبى معارضاً ولا كنتَ بالأخطار فيه مباليا »

« ثباتُ إذا ما الحادثات تجردت سيوفاً على جنبيه رُدت نوابيا »

« ورأىٌ إذا لاحت ثواقب شهبه

أضاءت له ما كان فى الغيب داجِيَا [2] »

---

(١) ثاويا (قائما) (٢) داجيا (مظلماً)

أول أعماله بعد الخلافة

ومآثره على الإسلام والمسلمين

١ – تسيير جيش أسامة

أول عمل بدأ به أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد توليته الخلافة تسيير جيش (أسامة بن زيد) الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم جهزه قبل مرض الموت لغزو أطراف بلاد الروم، ولم يثنه عن ذلك ما حصل من الاضطرابات فى بلاد العرب ، عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد طلب بعض كبار الأنصار ، على لسان عمر بن الخطاب ، من أبى بكر أن يولى إمارة الجيش رجلاً أسنَّ من أسامة؛ لأن عمرَه كان وقتئذ ١٧ سنة ، فغضب أبو بكر ، حتى قام ، وقعد، وقال :

« ياعمر استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأمرنى أن أعزله »

ثم خرج رضى الله عنه، وشيع الجيش بنفسه ماشياً، وأسامة راكب ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، لتركبنَّ أو لأنزلنّ ، فقال : والله لا نزلتَ ولا ركبتُ ، وما علىّ أن أغبر قدمى ساعةً فى سبيل الله، فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة

درجة ترفع له ، وسبعمائة سيئة تمحى عنه ، ثم وصّاه هو وأصحابه فقال :

« لاتخونوا ، ولاتغدروا ، ولاتغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولاامرأة ، ولاتعزقوا نخلاً ، ولاتحرقوه ، ولاتقطعواشجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً ، إلا للأكل » إلى آخر ماجاء بوصيته المذكورة فى كتاب (اتمام الوفاء للمرحوم الشيخ الخضرى)

فذهب الجيش وغزا أطراف الشام ، ورجع إلى المدينة ظافراً غانماً بعد أن غاب عنها أربعين يوماً

وكان انفاذ هذا الجيش من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين ، فان العرب قالوا : لو لم يكن بهم قوةٌ لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفّوا عن كثيرمما كانوا عزموا عليه ، فعظم شأن أبى بكر عند الله ، وعلموا أن مخالفة البعض له فى أمر هذه الغزوة لم تكن من الحكمة

٢ — حرب أهل الردة

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنى الإسلام بمصيبة عظمى لو لم تتداركها حكمة أبى بكر رضى الله عنه لضعف الدين ، وتشتت شمل المسلمين ، فان العرب ما لبثت بعد أن علمت بموت الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ارتدت ، ولم يبق أحد متمسكا بدينه إلا قريشاً بمكة وثقيفاً بالطائف ، وقليلاً من غيرهم ، وقد ادعى بعض العرب النبوة ،

ومنهم رجل من أهل نجد اسمه (مُسيلَمة الكذاب) الذى تزوج بامرأة ادعت النبوة أيضا اسمها (سجاح) فأرسل إليهما الصديق خالد بن الوليد وحاربهما حربًا شديدة فى بلاد اليمامة فقتل مُسيلمة

ومنع البعض الآخر الزكاة، وهى من أهم أركان الإسلام وموارده، فوقف أبو بكر بين المسلمين وقفة الحازم القوى، ودعاهم لقتال المرتدين، واعادتهم إلى حظيرة الإسلام، وتأدية الزكاة على قلة من بقى مخلصا لله من المسلمين وهم أهل المدينة، ومكة، والطائف، فأشار عليه بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب وعلى رضى الله عنهما ألا يهيج العرب، ويجمعهم على عداوته لقلة عدد المخلصين، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فان الزكاة حق المال، والله لو منعونى عقالًا كانوا يُؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه

وقال عمر : فوالله ماهو إلا أن رأيت، أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال، فعلمت أنه الحق (رواه البخارى)

وكان رأى أبو بكر هو أصوب الآراء فى هذه الكارثة، وسير الجيش مستعينًا بماله ، وكان أربعين ألف دينار أنفقها فى تجهيزه واثقًا بوعده سبحانه وتعالى فى قوله :

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد

فأيده الله بالنصر المبين ، ورجع المرتدون إلى الإسلام خاضعين

نادمين ، ولو لم يفعل ذلك لعظم خطبهم ، واستفحل ضررهم ، وكانوا مثلاً سيئًا لغيرهم ، وقد اعترف له عمر بأصالة الرأى ، وبعد النظر

وقال الشاعر المصرى فى حرب أهل الردة :

وظنُّوا زكاةَ المالِ صارت أتَاوةً
فلم يرفدوا[1] فى طاعةِ اللهِ جابيَا

أحالَ أبو بكر على الصبر مرَّة
وأنذرَهم أُخرى فزَادُوا تمادِيا

فأوسعَ للشُّورَى صدور رجالهِ
وما أروَعَ الإِسلامَ فيها مجاليا

سوَاسِيَةٌ لايعرفون خليفةً
ولا يتقَّى المولى على الحقِّ واليَا

فبينَا يَرونَ السِّلمَ أشفى لُجرحِهم
ويجتنبون الحربَ منها تفَاديا

وخوفاً على الجيش الذى لم يطر له
هزارٌ ولم تسمع لهُ الروم شَاديا

عرَتْ عمراً من سَطوة الحقِّ رعدةٌ
فقام بانفاذِ الجيوش منَاديا

---

(١) رفده (أعطاه مالا)

وقال : رأى الصديق فى الأمر ردّةً

وكنتُ أرى الصدِّيقَ فى الأمر غاليا

فمذ شَرَحَ الإيمانُ للحرب صدرهُ

تيَقَّنتُ أن الحقَّ ما كان رائيَا

٣ ـ غزواته وفتحه لبعض الممالك

لما رأى أبو بكر رضى الله عنه أن الفرصة قد حانت لتحقيق بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بفتح الممالك، جمع أربعين ألف مقاتل ممن لم يدخل قلبه الرِّدة ، وكان أكثرهم من قريش وثقيف ، وبعث بعضهم لغزو الفرس ، وبعضهم لغزو الروم ، ففتح الله على الأولين أكثر نواحى العراق ، وعلى الآخرين مشارق الشام وفلسطين ، حيث وقع بينهم وبين الفرس والروم من الوقائع مالم يفلحوا بعدها فى موقعة مع المسلمين وهزم المسلمون الروم فى واقعة تسمى واقعة (اليرموك[1]) وهى من أعظم الوقائع الإسلامية ؛ ثم فتحوا مدنا كثيرة غنموا منها أموالا عظيمة وبذلك ظهر الإسلام ظهوراً بيِّناً ، ووقع الرعب فى قلوب أعدائه ، وخافوا خوفاً كثيراً

فعل أبو بكر كل ذلك فى أقل من ثمانية وعشرين شهراً ، فكان بذلك المجدد لدين الله والمؤسس العظيم لدولة الإسلام

---

(١) اليرموك ـ واد فى الجنوب الشرقى من الشام

هذا وأن غزواته ، وفتوحاته ، مذكورة بالتفصيل فى (كتاب أشهر مشاهير الإسلام للمرحوم رفيق بك العظم) وفى كتاب (إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء للمرحوم الشيخ محمد الخضرى) وفى غيرهما من كتب التاريخ ، فليطلع عليها الراغب فى الزيادة والاستفادة

٤ ـ جمعه للقرآن الكريم

لما استشهد فى تلك الوقائع كثير من حفظة القرآن الكريم أشار سيدنا عمر بن الخطاب على أبى بكر بجمعه ، فجمعه فى صحائف من صدور الرجال والجلود والعظام

فكان عنده مدة حياته ، ثم عند سيدنا عُمر ، ثم عند حفصة بنت عمر زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبذلك خدم الإسلام والمسلمين خدمة عظيمةً تذكر فتشكر، وكان له بذلك ذكراً باقياً، وأثراً خالداً

وعن على رضى الله عنه أنه قال: أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر . إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين

٥ ـ أولياته

إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أول من أسلم ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سمَّاه مصحفا ، وأول من سُمى خليفة ، وأول من ولى الخلافة وأبوه حىّ ، وأول خليفة فرض له رعيته العطاء ، وأول من اتخذ بيت المال

مناقب ابى بكر الصديق

١ — مثال من أدب أبى بكر فى حضرة الرسول ﷺ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى المسجد وحوله أصحابه فجاء سيدنا على بن أبى طالب ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوقف وسلَّم عليهم، ثم نظر مكاناً يجلس فيه، يكون لائقاً به،وموافقاً لقدره،فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى وجوه الجالسين، يريدبذلك أن يعرف مَن الذى يوسع له مكاناً ؟ وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه جالساً عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم ، فتزحزح له عن مجلسه وقال له :

هاهُنا يا أبا الحسن ، فجلس سيدنا على بين النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر

قال أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم : فرأيت السرور فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل

شجاعته

قال على رضى الله عنه : أخبرونى مَن أشجعُ الناس ؟ فقالوا : أنت . قال : أما أنا مابارزت أحداً إلَّا انتصفت منه ؛ ولكن أخبرونى بأشجع الناس ؟ . قالوا : لا نعلم فمَن ؟ قال ؟ أبو بكر ، إنه كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا : مَن يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى اليه أحد من المشركين ؟ فوالله مادنا منا أحد إلَّا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد إلا هوى اليه،فهو أشجع الناس

وقال الشاعر المصرى فى شجاعته يوم بدر :

ولمَّا أراد الله نصرةَ دينه ... ببدر رأى الصدِّيقَ للدين واليا[1]

وَقَفتَ على باب العريش وطَيُّهُ ... سنىً لم يزل فى موطن السرّ فاشيا

اذا ماالشرأبت هامة من مُفاضة[2] ... رأتك عليها بالمنيَّة هاويا

وطاروا بأسباب القتال كأنهم ... فراخُ حمام صادفت منك بازيا

تردُّ عيونَ السَّاهمين حَسيرةً ... وتدفعُ من نقع المنية هَابيا

وأنَّ عليًا قالها فيك قولة ... يُحلِّى بها الأمثال من كانَ رَاويا

إذا ذُكِرَ الصدِّيقُ فى بدرَ صَدَّنى ... حيَائِى منهُ أن أُسُلَّ حُسامِيا

---

(١) نصيرا (٢) الدروع الواسعة

قال على رضى الله عنه : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخذته قريش، فهذا يجبأه[١] وهذا يتلتله[٢] وهم يقولون: أنت الذى جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ قال : فوالله مادنا منا أحد إلَّا أبو بكر يضرب هذا ويجبأ هذا ، ويتلتل هذا (أى هذا يدفعه وهذا يسوقه) وهو يقول : ويلكم! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله؟ ثم رفع عَلِىٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى ؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة مثل مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه

وأخرج البخارى عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رأيت (عقبة بن أبى معيط) جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه به خنقًا شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال :

« أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ »

فهو حقًا أشجع الناس

---

(١) جبأه (دفعه) (٢) تلتله (زعزعه وأقلقه)

٣ ـ علمه وتقواه

كان رضى الله عنه عالماً ؛ بل وأعلم الصحابة وأذ كاهم ، والدليل على عظم علمه قوله :

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه »

وقال ابن كثير : كان الصديق رضى الله عنه أقرأ الصحابة ، أى أعلمهم بالقرآن؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله : يؤُم القوم أقرأهم لكتاب الله

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره

وكان رضى الله عنه أعلمهم بالسنة ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من يوم البعثة الى الوفاة ، وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم ، وإنما لم يروعنه من الاحاديث المسندة إلا القليل ، لقصر مدته ، وسرعة وفاته بعد النبى صلى الله عليه وسلم

٤ ـ قضاؤه وعدله فى رعيته

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا ورد عليه الخصوم نظر فى

كتاب الله ، فان وجد فيه مايقضى بينهم قضى به ، وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر سنة قضى به ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فان أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به وهذا منتهى النظر ، والعدل فى القضاء

٥ — مثال من حلمه وسلامة قلبه

أخرج البخارى عن أبى الدرداء قال : كنت جالساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر فسلم وقال : انه كان بينى و بين عمر ابن الخطاب شىء فأسرعت اليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لى فأبى علىّ فأقبلت اليك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يغفر الله لك يا أبا بكر (قالها ثلاثا)

ثم ن اعمر ندم ، فأتى منزل أبى بكر فلم يجده ، فأتى النبى صلى الله عليه‌وسلم فجعل وجه النبى صلى الله عليه‌وسلم يتمعر (يتغيرغيظاً) حتى

أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال : يارسول الله ، والله أنا كنت أظلم منه مرتين ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلم : إن الله بعثنى اليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ (قالها مرتين) فما أوذى بعدها

مثال آخر من حلمه

جاء الحسن بن على الى أبى بكر الصديق وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنزل عن مجلس أبى . فقال : صدقت : إنه مجلس أبيك ، وأجلسه فى حجره وبكى . فقال على : والله ماهذا عن أمرى . فقال : صدقت ، والله ما أتهمك

٦ — مثال من تواضعه

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحلب للقوم أغنامهم ، وكانت أملاك العرب معظمها من الغنم والإبل، وكان ذلك فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم

ولما مات عليه الصلاة والسلام، وصار أبو بكر خليفة المسلمين يتولى أمرهم ، قالت جارية من الحى : الآن من يحلب لنا الغنم ؟ تريد أن تقول: انه أصبح أبو بكر عظيماً وأكبر من أن يقوم بحلب الغنم لقومه

وقد صادف أنه سمعها أبو بكر رضى الله عنه فقال لهـا : لأحلبنها لكم ، وأرجو الله ألَّا يغيرنى مادخلت فيه من الخلافة عن خلق كنت فيه ؛ فكان رحمه الله يحلب لهم بعد ذلك

فما ذكر تعلمون أن سيدنا أبا بكر الصديق ، مع كونه كان خليفة المسلمين ، وأعظم رجل فيهم ، كان يحلب الغنم لجيرانه وقومه

وفى هذا أكبر دليل على تواضعه ، وعدم تعاظمه وتكبره ؛ فهكذا تكون الأخلاق الشريفة الكريمة

وقيل : سُئل بعض التابعين : هل رأيت أبا بكر ؟ قال : نعم ، رأيت ملكاً فى زى مسكين

تأديبه لنفسه

حُسن اعتذاره

أخرج أحمد، بسند حسن، عن ربيعة الأسلمى رضى الله عنه قال:

جرى بينى وبين أبى بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها ، وندم، فقال لى : يا ربيعة رد علىّ مثلها حتى يكون قصاصاً . فقلت : لا أفعل . قال أبو بكر : لتقولَن أو لأستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : ما أنا بفاعل . فانطلق أبو بكر رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وانطلقت أتلوه

وجاء أناس من أسلم فقالوا لى: رحم الله أبا بكر، فى أى شىء يستعدى عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذى قال لك ماقال؟ فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، هذا ثانى اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لايلتفت فيرا كم تنصروننى عليه، فيغضب، فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما، فيهلك ربيعة. قالوا: ماتأمرنا؟ قال: ارجعوا

وانطلق أبو بكر رضى الله عنه وتبعته وحدى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحدثه الحديث كما كان، فرفع الىّ رأسه فقال:

يا ربيعة مالَكَ والصديق؟ فقلت: يارسول الله كان كذا وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل لاترد عليه؛ ولكن قل: قد غفر الله لك يا أبا بكر. فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر، قال الحسن: فولى أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكى

مثال من حرصه على العمل والسعى على المعاش

لما ولى أبو بكر رضى الله عنه خلافة المسلمين أصبح ذاهبًا الى السوق، وعلى عنقه أثواب يتجر فيها، فلقيه سيدنا عمر رضى الله عنه فقال له: الى أين تريد ياخليفة المؤمنين؟

فقال له : إنى ذاهب الى السوق ، قال : ماذا تصنع وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : ومن أين أطعم عيالى ؟فقال له عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة ؛ وكان وقتئذ أمين بيت المال

فانطلقا الى أبى عبيدة، فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، اذا أخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره . ففرض له كل يوم نصف شاة ، وما كساه فى الرأس والبطن

فسيدنا أبو بكر رضى الله عنه مع كونه كان خليفة أراد أن يذهب الى السوق يتجر فى الثياب لعلمه أنه لابد للانسان من عمل يعمله ليكسب منه قوت يومه

فضرب لنا بذلك مثلاً حسناً فى السعى على طلب الرزق ، وألَّا يكون الانسان عالة على الناس ، وفى هذه القصة قال الشاعر عبد الحليم المصرى رحمه الله :

« وساعٍ الى الأسواق يُزجِى بضاعةً
ويسألُ فيها اللهَ والناسَ شَارِيَا »

« وما جهِلوا أن الخليفة بَيْنَهُمْ
ولكن حياةُ الدين كانت تَساويا »

« فقيلَ له : ألهتكَ عنا تجارةٌ
إذا عُدت بزَّازاً فلا تك رَاعيًا »

« فقال : أيُرجَى رعيُكم فى خلافتى
إذا كنتُ فيها لستُ أرعَى عِيالِيَا »

« فقالوا له : نُعطيك فرضَ مهاجر
ونأخذُ من ثوبيكَ ما كان باليًا »

« فقال : لقد أغنيتمونى بفرضكم
وحَسبى ماسَدَّ الطوَى وكسائيًا »

« كفيتُم أبا بكر فردّوا تجارتى
إلى بيت مال المسلمين وماليًا »

مثال من رأفته برعيته

كان عمر بن الخطاب يتعهد عجوزاً، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ماأرادت ؛ فجاءهاغير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر، فاذا هو أبو بكر الصديق الذى يجيئها (وهو يومئذ خليفة) فقال عمر : أنتَ هو لعمرى

هكذا التسابق إلى الفضيلة، والتسارع إلى الخيرات ، وهذا منتهى

الرأفة، وغاية التواضع ، وفى هذه القصة قال الشاعر عبد الحليم المصرى رحمه الله :

« رأى عمرٌ يوماً عجوزاً بدارها غدا الموتُ منها للبقية حاسيا »

« فقال : أواسيها وأقضى أمورَها فقد عدمت فى المسلمين مُواسيا »

« مضى غاشياً فى نَهرة الصبح دارها فألفى لها فى نَهرة الفجر غاشيا »

« فقال لها : مَن ذا الذى يبدو له ما بَدا لِيا ومَن كان فى الحى سابق »

« فقالت: كريم يعترى الدارَ سُحرة فيجمع أشتاتى ويرحم ما بيا »

« فقال: سأحيى الليل أرعى طروقه وأرصد سَبّاقا إلى الخير ساعيا »

« فشقَّ رواقُ الليل عن رونق الضحى

ولكنه الصديق من كانَ باديا »

«فألقى الكُلى[1] عن كاهل عزَّ قبلها وما حمَّلته النفسُ إلاَّ المعاليا »

« وألقى العصا فى جانبٍ من فِنائها وهيَّأ فيه للقدور الأثافيا »

«فصاح به الفاروقُ ما كان سابقى سواك أبا بكرٍ ولا كنتُ راضيا»

« أفِى كل دار من أبى بكر امرؤ إذا أهلها نادوا أجاب المناديا »

مثال من زهده وورعه

يحكى أن أبا بكر رضى الله عنه أتاه غلام ليلة بطعام فتناول منه

---

(١) الكلى جمع كلية وهى مايحمل فيها الماء

لقمة،فقال له الغلام: مالَك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟ فقال: حملنى على ذلك الجوع ، مِن أين جئت بهذا ؟ قال الغلام : مَررت بقوم فرقيت لهم ، فوعدونى ، فلما مررت بهم وجدت عرساً لهم فأعطونى . فقال أبو بكر : أُفٍّ لكَ ، وكدت تهلكنى ؛ ثم أدخل يده فى حلقه وجعل يتقيأ ، ولكن اللقمة لم تخرج . فقيل له : إنها لا تخرج إلاَّ بالماء . فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل اللقمة ؟ فقال : لو لم تخرج إلا مع نفسى (روحى) لأخرجتها

مثال من أمانته على مال المسلمين

أخرج ابن أبى الدنيا عن أبى بكر بن حفص قال: قال أبو بكر لما احتضر لابنته عائشة :

يا بنية ، إنا ولينا أمر المسلمين ، فلم نأخذ ديناراً ولا درهماً ، ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وأنه لم يبق عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فاذا مت فابعثى بهن إلى عمر

وأخرج الطبرانى فى مسنده عن الحسن بن على بن أبى طالب قال:

لما احتضر أبو بكر قال: ياعائشة انظرى اللقحة [١] التى كنا نشرب من لبنها، والجفنة [٢] التى كنا نصطنع فيها ، والقطيفة التى كنا نلبسها، فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلى أمر المسلمين ، فاذا مت فردّيه إلى عمر

فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر فقال عمر : رحمك الله يا أبابكر لقد أتعبت من جاء بعدك

مثال من كرمه ومساواته بين الناس فى العطاء

كان لأبى بكر بيت مال ليس يحرسه أحد فقيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟ قال : عليه قفل . فكان يعطى ما فيه حتى يفرغ

فلما انتقل إلى المدينة حوّله فجعله فى داره ، فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس، فيسوى بين الناس فى القسم

وكان يشترى الإبل والخيل والسلاح فيجعله فى سبيل الله

واشترى قطائف أتى بها من البادية ففرقها على أرامل المدينة

فلما توفى أبو بكر ودفن ، دعا عمر الأمناء ودخل بهم فى بيت مال أبى بكر ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان . ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه شيئا لا ديناراً ولا درهماً

---

(١) اللقحة (الناقة الغزيرة اللبن) (٢) الجفنة (القصعة)

إنفاق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأنه أجود الصحابة

أخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نفعني مال قط مانفعني مال أبي بكر ، فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلّا لك يا رسول الله ؟

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها وعروة بن الزبير : أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار (وفي لفظ أربعون ألف درهم) فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج الى المدينة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون على الإسلام

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالأحد عندنا يد إلّا وقد كافأناه ، إلّا أبا بكر فان له

عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قط مانفعنى مال أبى بكر

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أحد عندى أعظم يداً من أبى بكر ، واسانى بنفسه وماله ، وأنكحنى ابنته »

وأخرج أبو داود والترمذى عن عمر بن الخطاب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندى ، قلت : اليومَ أسبق أبا بكر — ان سبقته يوماً — فجئت بنصف مالى

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟

قلت : مثله ؛ وأتى أبو بكر بكل ماعنده فقال :

يا أبا بكر ، ما أبقيت لأهلك ؟

قال : أبقيت لهم الله ورسوله

فقلت : لا أسبقه فى شىء أبداً

نبذ من كلامه وحكمه

من كلامه رضى الله تعالى عنه كما جاء فى طبقات الشعرانى : أ كيس الكيس التقوى ، وأحمق الحمق الفجور ، وأصدق الصدق الأمانة ، وأ كذب الكذب الخيانة

وكان يقول رضى الله تعالى عنه : إن هذا الأمر لايصلح آخره إلّا بما صلح به أوله ، ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة ، وأملككم لنفسه

وكان يقول : إن العبد إذا دخله العجب بشىء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة

وكان يقول : يامعشر المسلمين استحيوا من الله،فوالذى نفسى بيده إنى لأظل ،حين أذهب الى الغائط فى الفضاء ،متقنعا استحياءً من ربى عزّ وجل

وكان يقول : ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل

وكان يأخذطرف لسانه و يقول : هذا الذى أوردنى الموارد

وكان اذا سقط خُطام ناقته ينيخها و يأخذه فيقال له : هلا أمرتنا ؟ فيقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى ألَّا أسأل الناس شيئاً

وكان إذا أكل رضى الله تعـالى عنه طعاماً فيه شبهة، ثم علم به استقاءه من بطنه ، ويقول : اللّهم لاتؤاخذنى بما شربته العروق وخالط الامعاء

وكان رضى الله عنه إذا مُدح قال : اللّهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللّهم اجعلنى خيراً مما يحسبون ، واغفرلى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون

ومن كلامه نقلا عن الجزء الثالث من كتاب نهاية الارب :

إن الله قرن وعده بوعيده ، ليست مع العزاء مصيبة ، الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله ، ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر ، ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة ، إحرص على الموت توهب لك الحياة (قاله لخالد بن الوليد حين بعثه الى أهل الردة)

كثير القول ينسى بعضه بعضاً ، وإنما لك ماوعى عنك

لاتكتم المستشار خبراً فتؤتى من قبل نفسك

خير الخصلتين لك أبغضهما اليك ، صنائع المعروف تقى مصارع السوء

شذرات من خطب ابى بكر

خطبة أبي بكر يوم وفاة النبي عليه الصلاة والسلام

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختبط الناس ، فأصبحوا بين مصدق ومكذب ، جاء أبو بكر من السُّنح ،ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكلم بكلام مؤثر، ثم خرج وخطب الناس فقال :

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ؛ ثم قال :

أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ؛ ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لايموت ، وأن الله قد تقدم اليكم فى أمره فلا تدعوه جزعًا ، وأن الله قد اختار لنبيه ماعنده على ماعندكم ، وقبضه الى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومَن فرق بينهما أنكر ؛ ثم قال :

يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذى تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم

خطبة أبى بكر بعد أن ولى الخلافة

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أما بعدفانى قد وليت أمركم ، ولست بخيركم ؛ ولكنه نزل القرآن ، وسنَّ النبى صلى الله عليه وسلم السنن ، وعلمنا فعلمنا

فاعلموا أيها الناس ، أن أكيس الكيس التُقى ، وأن أحمق الحمق الفجور ، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق

أيها الناس إنما أنا متبع ، ولست بمبتدع ، فاذا أحسنت فأعينونى ، وإن أنا زغت فقومونى . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

خطبة أخرى له أيضاً

الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكن لنا فى البلاد ، وجعلنا به إخوانا متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فان الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ؛ وإياكم والعمل بالمعاصى وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا الى التوبة إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم

أيها الناس : ان الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها (فوزها) ونصرها وشرفها، فاحمدوه عباد الله على نعمته، واشكروه على آلائه جعلنا الله و إياكم من الشاكرين

خطبة أخرى

عباد الله ، اعلموا أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مَواثيقكم ، وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى

وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ، ولا يُطفأ نوره ، فثقوا بقوله ، وانتصحوا بكتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فانه خلقكم لعبادته ، ووكل بكم الكرام الكاتبين ، يعلمون ماتفعلون

وخطب الناس يوما خطبة قال فيها :

ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضلّ ضلالًا مبينًا ، أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله ، الذى شرع لكم وهداكم به ، فان جوامع هدَى الإسلام بعد كلمة الاخلاص ، السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ، فان من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح ، وأدى الذى عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى ، فقد أفلح من حُفظ من الهوى ، والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ، وما فخر من خُلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حيّ ، وغدا يموت

وصاياه

وصية أبى بكر باستخلافه عمر بن الخطاب

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كتب أبو بكر رضى الله عنه وصية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا، حين يؤمن الكافر ،ويتقى الفاجر ، ويصدق الكاذب إنى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ، فان يعدل ، فذلك ظنى به ورجائى فيه ، وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ؛ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون،والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عهد ووصية أبى بكر لسيدنا عمر قبل وفاته

إنى مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لايقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لايقبله بالليل ، وإنه لاتقبل نافلة حتى تُؤدى الفريضة ؛ فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لايوضع فيه إلَّا الحق أن يكون ثقيلاً ، إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة

باتباعهم الباطل، وخفته عليهم، وحق لميزان لايوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً

إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : إنى أخاف ألَّا أكون من هؤلاء

وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : إنى لأَرجو ألَّا أكون من هؤلاء

وذكر آية الرحمة مع آية العذاب، ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقى بيده الى التهلكة

فاذا حفظت وصيتى ، فلا يكن غائب أحب اليك من الموت، وهو آتيك ، و إن ضيعت وصيتى ، فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله

ولما خرج عمر من عند أبى بكر رفع يديه وقال :

اللّهم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأياً، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على إرشادهم ، وقد حضرنى من أمرك ماحضر ، فاخلفنى فيهم ، فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، أصلح اللّهم ولاتهم ، واجعله من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته

وصية سيدنا أبي بكر لبعض رؤساء الجند

عليك بتقوى الله، فانه يرى من باطنك،مثل الذى يرى من ظاهرك ، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وَعظتهم فأوجز ، فان الكلام ينسى بعضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، واذا استشرت فاصدق الحديث ، تصدق لك المشورة ، وجالس أهل الصدق والوفاء

مرضه

قيل : إن أبا بكر رضى الله عنه أصيب بالحمى لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، ومرض خمسة عشر يوماً لايخرج فيها إلى الصلاة ، وكان عمر يصلى بالناس

ولما اشتد عليه المرض جمع الصحابة واستشارهم فى أن يكون سيدنا عمر بن الخطاب خليفة من بعده، فتمت كلمتهم عليه ، فعهدله بذلك ، وأوصاه بالمسلمين خيراً ، وكتاب عهده لعمر سبق ذكره

وفاته

لما ثقل المرض على أبي بكر رضى الله عنه أوصى عائشة أن يدفن

الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى ثوبيه فقال : اغسلوهما وكفنونى فيهما، فان الحىّ أحوج الى الجديد من الميت

وأوصى أن تغسله امرأته (اسماء بنت عميس) ويُعينها ابنه عبدالرحمن وكتب وصية بخمس ماله، وقال : آخذ من مالى ما أخذ الله من فىء المسلمين، ونزل لبيت المال فى ذلك عن حائط بستان كان له ؛ وكان له من الفىء عبد يخدمه ، و بعير يستقى عليه ، وقطيفة ، فأوصى بردها الى بيت المال ، فقبلها عمر

وقال الشاعر المصرى فى يوم وفاته :

« وقالَ وقد حانَ الفراقُ لأهله   إذا متُّ رُدوا عبدهمْ وردائيا »
« وردوا عليهم حائطى فى دراهم   تقاضيتُها منهم وردُّوا صِحَافيا »
« ولا تدفنونى فى الجديد فإنما   أحقُّ بهمن كان فى الناس عاريا »
« خرجتُ من الدنيا بنفسى وليتنى   خرجتُ مُعافىً لا علىَّ ولا لِيا »
« وماتَ ولم يترك تليداً لوارث   يقومُ به فى الوارثين مُبَاهيا »
« وما نالَ أبناء الخليفة ضيعةً   ولا قام منهم من يقُول تُراثيا »
« ولو كان من يستثمرُ المال لم يمت   ويترك لهم بيت الخلافة خاوِيا »

وروى الطبرى : أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : انظروا كم

أنفقت منذ وليت بيت المال؟ فاقضوه عنى. فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم فى ولايته

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال:

أى يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فان مُت من ليلتى فلا تنتظروا بى الغد، فان أحب الأيام والليالى الىَّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتوفى أبو بكر من ليلته تلك، وهى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة

وقيل: إن سبب موته تحرك سم الحية التى لدغته فى الغار (ذكره ابن الأثير) وله من العمر ثلاث وستون سنة

وآخر ماتكلم به أبو بكر: «رب توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين»

وكان نقش خاتمه (نعم القادر الله)

وقد غسلته امرأته (أسماء) كما أوصى، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، وكبر أربعاً، ودفن ليلاً الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل فى قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما توفى أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ، ودهش القوم كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودخل عليه عمر فقال : ياخليفة رسول الله، لقد كلفت القوم بعدك تعبًا ، ووليتهم نصبًا ، فهيهات من شق غبارك ، فكيف اللحاق بك ؟

تأبينه

خطبة على فى تأبين أبى بكر

لما قبض أبو بكر رضى الله عنه جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه باكيًا ، مسرعًا مسترجعًا ، حتى وقف بالباب، وهو يقول:

رحمك الله يا أبا بكر ، كنتَ والله أول القوم إسلامًا ، وأخلقهم إيمانًا ، وأشدهم يقينًا . وأعظمهم غنًى ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبهم على الإسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خلقًا وفضلًا ، وهَديًا وصَمتًا ؛ فجزاك الله عن الإسلام ، وعن رسول الله ، وعن المسلمين خيرًا

صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وسمَّاك الله فى كتابه (صديقًا) فقال : ﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ يريد محمدًا، ويريدك

كنت والله للإسلام حِصناً ، وللكافرين ناكبًا ، لم تضلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كالجبل لاتحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف

كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعيفًا فى بدنك ، قويًّا فى دينك ، متواضعًا فى نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلًا فى الأرض ، كبيراً عند المؤمنين

لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوى ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى ، وتأخذ للضعيف ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك

خطبة ابنته عائشة فى تأبينه

نضر الله يا أبتِ وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مذلًّا بادبارك عنها ، وللآخرة معزًّا باقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأكبر الأحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض ، وأنامنتجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ، ومستعينة كثرة الاستغفار لك ، فسلم الله عليك ، توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك

أولاده

أولاد أبي بكر هم : عبد الله . الذى خرج بالطائف ، وتوفى أول خلافة أبيه ، وأسماء زوجة الزبير بن العوام . وأمهما قتيلة من بنى عامر ابن لؤى . وعبد الرحمن . وعائشة (أمهما أم رومان بنت الحرث من بنى فراس بن غنم بن كنانة) . ومحمد (أمه أسماء بنت عميس) وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة من الأنصار ، وهى ولدت بعـد وفاته رضى الله عنه

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقوال الصحابة والسلف الصالح فى محاسن وفضائل

أبى بكر الصديق رضى الله عنه

١ - روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دخل رسول الله صلى الله عليــه وسلم المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فقال : هكذا نبعث يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسـلم : إن الله تبارك وتعالى أيدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل ، ومن أهل الأرض بأبى بكر وعمر . ورآهما مقبلين فقال : (هذان السمع والبصر) أى ان الرسول جعلهما مكان السمع والبصر ، وهذا دليـل كاف على حب رسول الله لهما

٢ - وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لو وزن إيمـان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح بهم

٣ - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة ، ووافق ذلك مالاً عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته ، فجئته بنصف ماله ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت: النصف ، وجاء أبو بكر بكل ماله فقال

له النبى صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : الله حقاً ورسوله . فقلت : والله لا أسبقك إلى شىء أبداً

٤ — وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : وددت أنى شعرة فى صدر أبى بكر رضى الله عنه ـ وقال عمر : أبو بكر سيدنا

٥ — وعن عطاء عن أبى الدرداء : أنه مشى بين يدى أبى بكر رضى الله عنه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتمشى بين يدى من هو خير منك ؟ ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر

٦ — وعن على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا على، هل تحب الشيخين؟ قلت : نعم يا رسول الله لا يجتمع حبك وحبهما إلا فى قلب مؤمن

٧ — وعن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا بكر، زوجنى ابنته ، وحملنى إلى دار الهجرة ، وأعتق بلالاً من ماله

٨ ـ وعن أنس، عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ، ونحن فى الغار : لو أن أحدهم نظر فى قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله عز وجل ثالثهما ؟

٩ – وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه، وهو عاصب رأسه، حتى صعد المنبر فقال: إنى قائم الساعة على الحوض، وان عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة، فلم يفطن لها أحد إلا أبو بكر رضى الله عنه فقال: بأبى أنت وأمى؛ بل نفديك بآبائنا وأبنائنا وأنفسنا وأموالنا وبكى. فقال: لا تبك يا أبا بكر، ان من آمّن الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلا من الناس لاتخذت أبا بكر، ولكن أخى فى الإسلام، لا يبقى فى المسجد باب إلّا سد إلا باب أبى بكر. فبكى أبو بكر وقال: أنا ومالى لك يارسول الله

١٠ – أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أصبح منكم صائما؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد اليوم منكم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة

١١ – وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجئ يوم القيامة رجل الى باب الجنة ليس منها باب إلّا وعليه ملك يهتف به: هلمَّ هلمَّ ادخل. فقال أبو بكر رضى الله عنه: ان هذا لسعيد، قال:

هو ابن أبي قحافة (أى أبو بكر)

١٢ – وعن سليمان بن يسار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فى المؤمن ثلاثمائة وستون خصلة من الخير ، اذا جاء بواحدة دخل الجنة . قال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى أفيّ منها شىء ؟ قال: هى كلها فيك يا أبا بكر

١٣ – وعن ابن عمر رضى الله عنه، قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس،وعنده أبو بكر رضى الله عنه وعليه عباءة قدخلّلها فى صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل ، عليه السلام فقال : يارسول الله مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّلها فى صدره بخلال؟ قال : أنفق ماله علىّ قبل الفتح . قال : فأقرئه من الله عز وجل السلام ، وقل له : يقول لك ربك تبارك وتعالى: أراض أنت عنى فى فقرك أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أعلى ربى أغضب؟ . أنا على ربى راض . أنا على ربى راض . أنا على ربى راض

١٤ – وعن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال : كنت جالساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عليه الصلاة والسلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ممن مضى وممن بقى إلا النبيين والمرسلين لاتخبرهما ياعلى . قال : فما أخبرتهما حتى ماتا

١٥ – وعن جابر قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فسمعته يقول : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة . فطلع أبو بكر رضى الله عنه ؛ ثم قال : يطلع عليناMن هذا الفج رجل من أهل الجنة، فطلع عمر رضى الله عنه . ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة ، اللهم اجعله عليًا ، فطلع على رضى الله عنه

١٦ ـ وعن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يارسول الله ما أحسن هذه الآية ! قال : أيتها ؟ قال : قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ الفجر

فقال : يا أبا بكر ان الملك سيقولها لك

١٧ ـ قيل: إنه لما أسلم أبو أبى بكر (أبو قحافة) لم يعلم أبو بكر رضى الله عنه باسلامه حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أبشرك يا أبا بكر بما يسرك ؟ قال : مثلك يارسول الله مَن يبشر بالخير ؛ فما هى ؟ قال : أسلم أبو قحافة . قال : يارسول الله لو بشرتنى باسلام أبى طالب كان أقر لعينى فانه أقر لعينك

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علا بكاؤه أسفًا على ما فاته من إسلام أبى طالب وقال : رحمك الله يا أبا بكر (قالها ثلاثًا)

١٨ ـ أخرج ابن عساكر عن الشعبى قال : خصَّ الله تبارك

وتعالى أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحد من الناس : سمَّاه الصديق ولم يسم أحد الصديق غيره ، وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفيقه فى الهجرة ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود

١٩ – وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال : كان أبو بكر من النبى صلى الله عليه وسلم مكان الوزير ، فكان يشاوره فى جميع أموره ، وكان ثانيه فى الإسلام ، وثانيه فى الغار ، وثانيه فى العريش يوم بدر ، وثانيه فى القبر ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحداً

٢٠ – وأخرج الطبرانى عن سهل رضى الله عنه قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أيها الناس ان أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا ذلك ، أيها الناس إنى راض عنه وعن عمر»

مدح أبى بكر الصديق رضى الله عنه

من قصيدة طويلة قالها محمد بن جابر الهوارى الشاعر الأندلسى الضرير فى مدح العشرة المبشرين بالجنة

« فمنهم (أبو بكر) خليفة الذى ... له الفضل والتقديم فى كل مشهد »

« وصديق هادى الخلق والمؤثر الذى ... لانفاقه للمال فى الله قد هدى »

« وصهر رسول الله وابنته التى ... يبرئها آى الكتاب الممجد »

« وصاحبه فى الغار إذ قال لاتخف ... فثالثنا ذو العرش أوثق منجد »

« جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلاّ خيمتى أم معبد »

« وعتق بلال حسبه فهو سيد ... تأثل[1] فى الإسلام إعتاق سيد »

« فلما أراد الله قبض نبيه ... وصار الى دار النعيم المخلد »

« تقدم فى نيل الخلافة بعده ... باجماعهم لا بالحسام المهند »

« وقد خالفت يوم السقيفة فرقة ... فلما رأته الحق لم تتردد »

« وقام علىٌّ بعد ذاك مبايعاً ... فأثنى ثناء المخلص المتودد »

« وأظهر عذراً فى تأنيه صادقا ... وبايع طوعاً لا لفقدان مسند »

« فآب بحمد منهمو غير قاصر ... ومن يتبع الانصاف والحق يحمد »

« وما أشبه الصديق فى الفضل مشبه ... ولا أحصيت أوصافه بتعدد »

١ ــ تأثل : اتخذ أصل مال

كلمة عامة

فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه

من يتصفح حياة هذا الخليفة الأعظم ، ويحللها تحليلاً دينياً تاريخياً يجده مبرزاً فى كل ناحيـة من نواحى العظمة ، فقد كان اماماً تقياً ، وحاكماً سياسياً ، وقائداً قوياً ، وقاضياً عادلاً ومصلحاً ، ورحيماً ، وكريماً وعفيفاً ، وأميناً ، ومتواضعاً ، ومتحلياً بمكارم الأخلاق

فاذا نظرنا اليه من الناحية الدينية ، وجـدنا أنه كان ذا نفس عالية حفظها الله من دنس الجاهلية ، إذ دعاه والده كما يعتقد الى عقيدة يظن فيها الفلاح فامتنع أبو بكر عن طاعة أبيـه ، متمسكا بالحـكمة العالية : لا طاعة لمخلوق مع معصية الخالق ، وأقام عليـه الحجة أنه مخطىء فى اعتقاده ، وأن الصنم لايضر ولا ينفع، ولا يصح أن يكون إلٰهاً، وما من إلٰه إلَّا الله جل جلاله

ولما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن تفرس فيه الاستعداد الكامل للايمان، بادر باجابة الدعوة ، ولم يتردد لحظة فيها ، وعاهده على المظاهرة فقام بما تعهد ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : مادعوت أحداً الى الإسلام إلَّا كانت له كبوة غير أبي بكر

فاذا ولجنا ناحية السياسة ، ودخلنا بك الى (سقيفة بنى ساعدة) وقد احتدم الجدال ، واستطارت الفتنة ، ووقعت الحرب الأهلية ، ووثبت الأنصار ، وعلى رأسهم زعيمهم (سعد بن عبادة) للإمرة ليشاركوا فيها قريشاً ، وقد استحال ذلك ؟ ولكن لم يكد أبو بكر يخطب القوم بتلك الخطبة السياسية التى سحرت الرجال ، واقتلعتهم من عنادهم الى الولاء ، حتى صارت الكلمة له، وتولى الأمر وصار الخليفة

حدثنا عمر رضى الله عنه قال : لقد أردت أن أخطب القوم وقد أعددت كلمة لأدخل بها الى القلوب حتى قال أبو بكر : على رسلك ياعمر ، وأتى بما كنت قد زورته بديهة ، وأربى عليه

وانك لو استعرضت سير عظماء الرجال ، الذين كانوا يتطلبون الملك ويسعون اليه ، لما وجدت لواحد منهم مثل هذا الموقف الشريف الذى وقفه أبو بكر فى هذه السقيفة

وإن نابليون بونابرت عظيم عظماء الغرب ، الذى يضرب به المثل فى الشجاعة والسياسة، لم يرق الى الملك إلّا بعد جهود بذل فيها الأرواح والأموال ، ولم يصل اليه إلا فى منازل

ولم يكن أبو بكر بولىّ عهد ، كما هو معروف ، ولا مستخلف إلا على الصلاة ، ولكن روح أبى بكر وإيمانه المتين رفعاه بمرة الى ذروة

خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقمة المجد ، فصار المثل الأعلى للقدوة الحسنة وطيب الأحدوثة

ولذا قال سيدنا أبو هريرة : والله الذى لا إله غيره لولم يستخلف أبو بكر ماعُبد الله تعالى، قالها ثلاثاً

ولا تنس حسن رأيه ، وشدة اعتماده على الله ، فى تسيير جيش أسامة، وجرح الأمة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، لم يندمل، فكان أحسن الآراء وأحزمها ، مع قلة المال والرجال ، وقد أظهر للإسلام قوة عظيمة وقع بها الرعب فى قلوب المرتدين والمحاربين مع كثرتهم

وبذلك لمَّ شعث المسلمين بعد فرقتهم بارتداد كثير من العرب عن الإسلام

وكذلك شجاعته ، واقدامه على محاربة الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاده حتى أرغم أنفهما وخضد (كسر) من شوكتيهما. ولولا هذا العمل لتشتت أمر المسلمين

ولا يزال الإسلام الى يوم تنتهى الخليقة يحمل لأبى بكر تلك المنَّة الكبرى التى أنقذته فى أول نأنأته من البوار ، وان تلك الفتوق التى فتقت بأهل الردة والخوارج لولم يرتقها أبو بكر بتلك الشدة التى عرفت فى هذا الموطن من ذلك الرجل الرقيق القلب الذى يفصح عن عاطفته

فى أكثر الأحيان بالبكاء ، لاتسعت وهلك معظم المسلمين وخيارهم ورجع الأمر الى جاهليته الأولى

ولست مبالغاً فى هذا القول ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينضم الى الضعفاء خوفاً على الإسلام ، ويرجو أبا بكر أن يحط عن القوم الزكاة ، ولكن الخليفة كان أصلب عوداً ، وأسد سهماً ، ممن ظنوا فأبى ، وقال : والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ، ولو أبيتم أن تقاتلوا معى لقاتلتهم وحدى ، حتى يحكم الله بينى وبينهم ، فأية عزيمة أصلب فى الحق من هذه العزيمة ؟ وأى إيمان أمتن من هذا الإيمان ؟ وأى رأى سياسى أرجح من هذا الرأى ؟

وكان عمر أول من قدر هذه العزيمة ، وهذا الإيمان قدرها ، فما هو أن انتصر أبو بكر على أهل الردة حتى قبل عمر رأسه وقال : لولاك لهلكنا

فلو كان أبو بكر تساهل فى حرب الرِّدة لعمت الفوضى ، وضعف الإسلام فى الجزيرة ، ولكن قوة عزيمته ، ورباطة جأشه ، كانا سبباً فى تثبيت الديانة الاسلامية والوحدة العربية فى جزيرة العرب

واذا نظرت اليه من الناحية الخلُقية الدالة على (ديمقراطيته) أى حبه للشعب ، وتواضعه ، ومساواة نفسه بأى فرد ، فاليك حادثة حلب

الشاة للجارية ، فأى أمير ، أو ملك ، أو وال ، أو ماشئت من أهل السلطان ؟ ينقلب من عز الملك ، واستطالة السلطان ، الى حالب الغنم يحلب للحى شاتهم إلا أبا بكر الذى عرف أن عزة النفس ، وقوة اليقين ، وشرف الرجولة إنما يكون فى التواضع ، لافى الكبرياء والعظمة ؛ وان هذا الرجل الذى هذب نفسه الدين ، وراضته التقوى ، من قوم عرفوا بالكبرياء والأنفة والغطرسة ؛ وانك لو تطلعت الى تاريخ العرب ، لرأيته مملوءاً بحوادث كبريائهم ، وتعالى ساداتهم ، ولكن الإسلام جنَّب ذلك ، وقارب بين الناس ، وجعلهم سواسية (أى ساوى بينهم)

وان حلب أبى بكر شاة الجارية ، وهو خليفة فى أبهة عظمته ، لصفحة ناصعة فى تاريخ حياته ، وكفى بها فخراً له

وأما زهده ، وعفته ، وأمانته ، فحدث عنها ولاحرج ، فقد كان متعففاً عن أموال المسلمين ، لايتناول منها إلا ماهو ضرورى له ، حتى أنه مات ولم يترك إلا عبداً وبعيراً وقطيفة ، وأوصى بردها لبيت مال المسلمين ، فقبلها عمر

وأما كرمه ، وجوده ، فكان رضى الله عنه خيراً جواداً ، يعتق العبيد الذين كانوا يدخلون فى الإسلام ، ويعذبون فى سبيل الله ، وحسبك أنه قد اشترى بلالاً ثم أعتقه ، فقال فيه عمر :

(إن أبا بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا)

وقد بذل ماله فى سبيل دينه ، وناصر النبى صلى الله عليه وسلم وعاونه بماله ، حتى قال فيه :

مانفعني مال قط مانفعني مال أبي بكر ، فبكى أبو بكر وقال له : هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله ، وكان رضى الله عنه شديداً فى صالح المسلمين مع شىء من الرفق واللين ، ولذا كان محبوباً ، سيداً مطاعاً مرهوباً فى آن واحد

ومن يطلع على كلامه ، وخطبه ، ووصاياه ، يرى أنه كان واسع الادراك ، بعيد النظر ، ثاقب الفكر ، سديد الرأى ، راجح العقل

وقد وضع رضى الله عنه أساسات مهمة فى القضاء والحكم بين الناس بالعدل حيث وضع :

أولا – حق الشعب فى انتقاد الحاكم إذا أخطأ ، كما جاء فى خطبته يوم مبايعته وتوليته الخلافة ، حيث قال : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى

ثانيًا – أساس وجوب النصيحة للحاكم وتحريم الغش

ثالثاً – أساس الإخاء ، والمساواة التامة بين طبقات الأمة ، فى نظر الحاكم ، لافرق بين قوى وضعيف ، وغنى وفقير ، وأمير وحقير ، وذلك قوله :

إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق

رابعاً – أساس طاعة الحاكم فيما هو حق وعدل فقط ، حيث قال ضمن خطبته :

إن من يطع الله ورسوله ، وأولى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فقد أفلح ، وأدى الذى عليه من الحق

وبالجملة ، فحياته رضى الله عنه سلسلة فضائل ، وجليل أعمال ، بل كمال فى كمال ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين

---

٢ – عمر بن الخطاب رضي الله عنه

نسبه وأصله

هو عمر بن الخطاب . بن نفيل . بن عبد العزى . بن رياح . بن عبد الله . بن قرط . بن رزاح . بن عدى . بن كعب . بن لؤى . ابن غالب . بن فهر العدوى القرشى ، ويجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب، فهو من أشراف مكة ، وعظماء قريش ، وأمه حنتمة بنت هاشم . بن المغيرة . بن عبد الله . بن عمر . بن مخزوم ، وهى أخت أبى جهل ، وبنت عم خالد بن الوليد

مولده

وُلد رضى الله عنه فى السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة

اسمه وكنيته ولقبه

لم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام (عُمر) وكنَّاه المصطفى عليه الصلاة والسلام (بأبى حفص) وهو ولد الأسد ، وكان يوم بدر ذكره ابن اسحٰق وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالفاروق) يوم أسلم

فى دار الأرقم ، و به تم المسلمون أر بعين ، فخرجوا وأظهروا الإسلام ، ففرق الله بعمر الحق من الباطل ، ولذا لقب بالفاروق

نشأته ومكانته فى قومه

كان رضى الله عنه فى صغره يرعى الغنم لأبيه ، فقد روى ابن عساكر عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : كنت مع عمر بن الخطاب بضفيان (اسم مكان) فقال :

كنت أرعى للخطاب بهذا المكان ، فكان فظاً غليظاً ، فكنت أرعى أحيانًا ، وأحتطب أحيانًا ، فأصبحت أضرب الناس ، ليس فوقى أحد إلا رب العالمين

ولما كبر عمر اشتغل بالتجارة فكان يتاجر بماله أحيانًا الى الشام وقد نشأ على الشهامة ، والنجدة ، والحمية ، وسداد الرأى ، وكان مسموع الكلمة فى قومه ، وكان مشهوراً بالشدة ، عزيز الجانب ، وله مكانة عظمى مع أنه لم يكن ذا مال ولا غنًى ، هكذا كان حال هذا الرجل العظيم فى جاهليته ، وسنرى كيف كان حاله فى الإسلام ؟ والى أية درجة بلغ به علو الهمة : ومضاء العزيمة ، والرأى ، والاخلاص فى محبة الرسول الأكرم ، وخدمة الدين القويم ؟

إسلامه

كان المسلمون قبيل اسلام عمر بن الخطاب يجتمعون فى دار (الأرقم ابن أبى الأرقم المخزومى) فى أصل الصفا مستخفين لقلتهم وشدة قريش عليهم ، وكانوا فى حاجة الى الاستكثار من ذوى العصبية والجرأة ، وكان ممن عرف من قريش بنفوذ الكلمة ، والبطش ، وسمو المكانة عمر بن الخطاب وأبو جهل

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع خيراً للمسلمين باسلام أحد هذين الرجلين ، لهذا قال :

« اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » يعنى أبا جهل ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم بأحب الرجلين اليه ، وهو عمر بن الخطاب ، فأسلم فى ذى الحجة لمضى ست سنين من البعثة ، وبعد إسلام تسعة وثلاثين رجلًا وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وكان له من العمر ست وعشرون سنة

فكان أشد الناس دفاعاً عن الإسلام، كالحصن الحصين، بعد أن كان من أكبر المعارضين له ، وأشدهم إيذاء وبأساً على المسلمين ، يحرض عليهم بالأذى والضرر ، ويمنع الناس من الدخول فى الإسلام لما توهمه من الخطر على شرفه ومكانته

سبب إسلامه

وأما سبب إسلامه فقد جاءت فيه روايات كثيرة ، ومنها ما أخرجه (الحافظ عز الدين الجزرى) فى أسد الغابة عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم أنه قال :

قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء اسلامى ؟

قلنا : نعم

قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا يوماً فى يوم حار (شديد الحرِّ بالهاجرة) فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك

قال : قلت وما ذاك ؟ قال : أختك قد صبأت (خرجت من دينها)

قال : فرجعت مغضباً ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ، ويصيبان فى طعامه ، وقد كان ضم الى زوج أختى رجلين . قال : فجئت حتى قرعت الباب فقيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب

قال : وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن فى صحيفة معهم ، فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا ، وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم

قال : فقامت المرأة ففتحت لى ، فقلت : ياعدوَّة نفسها قد بلغنى أنك صبأت (خرجت من دينك)

قال : فأرفع شيئاً فى يدى فأضربها به . قال : فسال الدم

فلما رأت المرأة الدم بكت ، ثم قالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل ، لقد أسلمت

قال : فدخلت وأنا مغضب ، فجلست على السرير فنظرت ، فاذا بكتاب فى ناحية البيت

فقلت : ماهذا الكتاب ؟ أعطينيه

فقالت : لا أعطيك ، لستَ من أهله ، أنت لاتغتسل من الجنابة ولا تطهر ، وهذا لايمسه إلَّا المطهرون

قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه ، فاذا فيه : « بسم الله الرحمٰن الرحيم » فلما مررت بالرحمٰن الرحيم ذعرت ، ورميت بالصحيفة من يدى

قال : ثم رجعت الى نفسى فاذا فيها : ﴿ سَبَّحَ لِلّٰهِ مَافِى السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحديد

قال : فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ، ثم ترجع نفسى حتى بلغت : ﴿ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ حتى بلغت الى قوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله

فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه منى ، وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا بن الخطاب أبشر ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال « اللَّهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما عمرو ابن هشام وإما عمر بن الخطاب »

وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك ، فأبشر

قال : فلما عرفوا منى الصدق ، وقلت لهم : أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا : هو فى بيت فى أسفل الصفا وصفوه

قال : فخرجت حتى قرعت الباب ، قيل : من هـذا ؟ قلت : ابن الخطاب

قال : وقد عرفوا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعلموا باسلامى

قال : فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتحوا له فانه إن يرد الله به خيراً يهده

قال : ففتحوا لى ، وأخذ رجلان بعضدى ، حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : أرسلوه ، فأرسلونى ، فجلست بين يديه ، فأخـذ بمجمع قميصى فجذبنى اليه ثم قال : أسلم يا ابن الخطاب ، اللّهم اهده

قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

فكبّر المسلمون تكبيرة سُمعت بطرق مكة

وفى هـذه القصة يقول المرحوم حافظ بك ابراهيم فى قصيدته العمرية مخاطباً عمر :

« رَأيتَ فى الدين آراءً مُوَفَّقةً — فأنزلَ الله قرآناً يزكّيها »

« وكنتَ أولَ من قرَّت بصُحبته — عَينُ الحنيفة واجتازت أمانيها »

« قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها — بنعمة الله حصناً من أعاديها »

« خَرجتَ تبغى أذاها فى مُحمَّدها — وللحنيفة جبار يُواليها »

« فلم تكد تسمعُ الآيات بالغةً — حتى انكفأت تُناوى من يناويها »

« سَمعتَ سورة طه مِن مُرتلها — فزلزلت نيةً قد كنت تنويها »

« وقُلت فيها مقالاً لا يُطاوله — قولُ المحبِّ الذى قد بات يُطريها »

« وَيومَ أسلمتَ عَز الحقُّ وارتفعت — عن كاهل الدين أثقالٌ يُعانيها »

« وصَاحَ فيه بلالٌ صَيحةً خَشعت — لهـا القلوب ولبَّت أمر باريها »

« فأنت فى زمن المختار مُنجدها — وأنتَ فى زمن الصديق مُنجيها »

« كم استراك[1] رسولُ الله مُغتبطاً — بحكمة لك عند الرأى يُلفيها[2] »

(١) استراك : طلب رأيك (٢) يلفيها : يجدها

حاله بعد إسلامه

لما منّ الله عليه بالإسلام، وشرح صدره فى السنة السادسة من الرسالة، صار من أشد أعوانه، وأقوى أنصاره، وجاء فى كتب الشريعة أنه لما أسلم نزل جبريل وقال: يامحمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر

وبعد أن كان المسلمون يعبدون ربهم خُفيةً أشار عمر على النبى صلى الله عليه وسلم باظهار الدين، وعدم الاختفاء والتستر، فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون صفين، يَؤُم أحدهما سيدنا عمر، والثانى سيدنا حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم، مهللين مكبرين، داعين للدين، جاهرين بالصلاة، بعد أن كانت لاتفعل إلّا سراً

فببركة دعائه عليه الصلاة والسلام كان عمر من أكبر أسباب معزة الإسلام فى الفتح والنصر والأمان والهجرة، حتى قال عبدالله بن مسعود: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر

وكان شجاعاً مهيباً هابته العرب والعجم، حتى أنه لما أراد الهجرة الى المدينة لم يخرج خفية كغيره؛ بل تقلّد سيفه، وجاء الى الكعبة، وحولها صناديد مكة، فدخلها وطاف، وصلى ركعتين، وقريش مجتمعة، ثم خرج عليهم صائحاً بقوله: إنى مهاجر، فمن أراد منكم أن تثكله

(تفقده) أمه ، ويَتيتم ولدُه ، وتترمل امرأته ، فليلقنى وراء هـذا الوادى ؟ وتركهم وذهب ، فلم يجسر أحد على أن يلقاه

إخلاصه للرسول وللدين

وكان عمر من أشد المسلمين إخـلاصاً للرسول صلى الله عليه وسلم وأحرصهم على نشر الإسلام ، لازم النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع غزواته ، وله فيها مواقف مشهورة مشهودة ، وكان من أقوى النـاس جهاداً فى سبيل الله ، وصبراً على المشاق ، شديد الحرص على حماية الدين ، وحقوق الخلافة والمسلمين ، وفى أقصى درجات العـدالة ، والسياسة ، والفراسة ، حتى أن عمرو بن العاص لمـا أراد فتح برزخ السويس (القنال) واستأذنه منعه وقال : أخشى أن الفرنج يكثرون بالمشرق و بلاد المغرب ، فوقع ماتنبأ به مما هو حاصل الآن

مبايعته بالخلافة

لمـا مات أبو بكر ولى الخلافة بعده بعهد منه (سبق ذكره فى سيرة أبى بكر) و بويع له بالخلافة لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فقام بأمورها ، ووطد دعائم الإسلام فى جزيرة العرب كلها . ولمـا بويع بالخلافة صعد المنبر وقال :

انما مثل العرب ، مثل جمل آنف ، اتبع قائده ، فلينظر قائده أين يقوده ؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق

أول أعماله فى الخلافة

أول عمل عمله فى خلافته ثلاثة أمور :

١ – انتداب الناس مع أبى عبيد الثقفى لحرب الفرس

٢ – عزل خالد بن الوليد وتوسيد الإمارة العامة فى الشام الى أبى عبيدة عامر بن الجراح

٣ – بعث يَعلىَ بن أمية لاجلاء أهل نجران فأجلى النجرانيين النصارى منهم واليهود، فتفرقوا بعضهم فى الشام ، و بعض النجرانية بناحية الكوفة و بهم سميت

فتوحاته

فى عهده رضى الله عنه فتح المسلمون ممالك الفرس والروم ، واستولوا على كثير من ولايتهم كالعراق وفارس والشام ومصر

ولما أتم عمرو بن العاص فتح بلاد مصر ، ولَّاه سيدنا عُمر حاكماً عليها ، فأخذ فى إصلاح شئونها ورفع المظالم المفروضة على الأهالى من الروم ، و بنى مدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) واتخذها مقراً

لحكومته ، وشيد بها جامعه المشهور (بجامع عمرو) الذى هو أول مسجد للإسلام بمصر ، وحفر خليجًا يوصل النيل بالبحر وسماه خليج أمير المؤمنين

وبذلك زالت دولة الروم عن مصر ، كما زالت عن الشام

أولياته

قال العسكرى : هو أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان ، وأول من عسَّ بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع النـاس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر ايلة الى المدينة ، وأول من احتبس صدقة فى الإسلام ، وأول من أعال الفرائض ، وأول من أخذ زكاة الخيل ، وأول من قال : أطال الله بقاءك (قاله لعلى) وأول من قال : أيدك الله (قاله لعلى) هذا آخر ماذكره العسكرى

وقال النووى فى تهذيبه : هو أول من اتخذ الدِّرة ، وكذا ذكره ابن سعد فى الطبقات

قال : ولقد قيل بعده : لدِرّة عمر أهيب من سيفكم

قال : وهو أول من استقصى القضاة فى الأمصار ، وأول من مصر الأمصار . الكوفة . والبصرة . والجزيرة . والشام . ومصر . والموصل

وقيل : هو أول من كتب التاريخ ، وأول من أشار على أبى بكر بجمع القرآن فى المصحف الشريف ، وأول من أنشأ الدفاتر لحصر الغزاة والغنائم وتقسيمها على مستحقيها ، وأول من وضع الخراج

وكان نقش خاتمه : كفى بالموت واعظاً ياعمر

صفاته الخُلقية

يكفى فى وصفه أن معاوية بن أبى سفيان قال لصعصعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب ، فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً فى قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحرياً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب ، أى أنه كان شديداً فى الحق ، عادلاً بين المسلمين ، صغيرهم وكبيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، نشر المساواة بين الرعية من عرب ومن عجم ، قبل أن تعرف الشعوب الأخرى معنى المساواة ، ولذا قيل : ان عمر بن الخطاب أول حاكم ديموقراطى فى الإسلام

وكان رضى الله عنه ميالاً للاستشارة وقبول النصح ، وكان لايستأثر

بالأمر دون المسلمين ، ولا يستبد عليهم فى شأن من الشئون العامة ، فاذا نزل به أمر لايبرمه حتى يجمع المسلمين ، ويجيل الرأى معهم فيه ويستشيرهم

ومن مأثور قوله فى ذلك : لاخير فى أمر أبرم من غير شورى

وكان مسلكه فى الشورى جميلا ، فانه كان يستشير العامة أولا فيسمع منهم ، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب الرأى منهم ، ثم يفضى اليهم بالأمر ، ويسألهم أن يخلصوا فيه الى رأى محمود ، فالذى يستقر عليه رأيهم يمضيه

فهو يقال بحق : أنه أول واضع للنظم الدستورية

وكان رضى الله عنه قد أخذ نفسه وأهله بحال من التقشف وخشونة العيش ، حتى ساوى البائس الفقير ، الذى إنما يعيش بما يتبلغ به مما يمسك الرمق ويدفع الجوع

لم تدعه نفسه الى رقيق العيش ، ونعيم الحياة الدنيا ، ولم يهتم بمكاثرة الناس فى المال، ويرى مال المسلمين مرتعًا وبيلًا على من رعاه ، فقتر على نفسه تقتيراً جعله موضعاً للانتقاد ، واعتراض المعترضين

وقد بلغ من شدة احترازه من أخذ مال المسلمين ، أن عطاءه ربما قصر به عن بلوغ الكفاية من حاجاته وحاجات أهله ، فلا يسمح

لنفسه بأن يطلب من المسلمين أن يفرضوا له كفايته ؟ بل كان يلجأ الى الاقتراض من أمين بيت المال ، فاذا حلَّ ميعاد الوفاء ، ولم يجد عنده مايسد منه ، احتال له حتى اذا أخذ عطاءه سدد منه

وكان لايسمح لأحد من بيته أن ينتفع بشيء ليس له فيه حق

ومن المحقق أن الإنسان اذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس زاهداً فى حقوقهم ، دعاهم ذلك الى محبته والرغبة فيه، خصوصاً إذا كان حاكماً ، حدبوا عليه ، ومالوا اليه ، وأخلصوا فى طاعته نياتهم ، وكان أكرم عليهم من أنفسهم

فهو رضى الله عنه كان متمسكا بقول الشاعر :

«هِى القناعة فالزمها تعش ملكا   لو لم تكن لك فيها إلا راحة البدن»
«وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير القطن والكفن ؟»

صفاته الخَلقية

أما صفاته الخَلقية ، فكان رضى الله عنه طويلا ، أصلع ، أعسر ، أيسر ، يعمل بيديه كلتيهما ، وكان لطوله كأنه راكب ، شديد البياض ، تعلوه حمرة ، وكان أشيب ، يصفر لحيته ، ويرجل رأسه

الأحاديث الواردة فى فضله

أخرج الشيخان (البخارى ومسلم) عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة ، فاذا أُمرأة تتوضأ الى جانب قصر قلت : لِمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرتك ، فوليت مدبراً

فبكى عمر وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكاً فجاً (أى طريقًا) قط إلا سلك فجاً غير فجك

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون (أى ملهمون) فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر

وأخرج الترمذى عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

وأخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أقرئ عمر السلام وأخبره أن غضبه عز ، ورضاه حكم

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مافى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر ، ولا فى الأرض شيطان إلَّا وهو يفرق (أى يخاف) من عمر

وأخرج الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبغض عمر فقد أبغضنى ، ومَن أحب عمر فقد أحبنى ، وأن الله باهى بالناس عشية عرفة عامةً ، وباهى بعمر خاصةً ، وأنه لم يبعث الله نبياً إلا كان فى أمته محدث ، وان يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر

قالوا : يارسول الله كيف محدث ؟ قال : تتكلم الملائكة على لسانه

أقوال الصحابة والسلف الصالح فيه

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ماعلى ظهر الأرض رجل أحب الى من عمر (أخرجه ابن عساكر)

وقيل لأبى بكر فى مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟

قال : أقول له : وليت عليهم خيرهم (أخرجه ابن سعيد)

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم

وقال حذيفة : والله ما أعرف رجلًا لا تأخذه فى الله لومة لائم إلّا عمر

وقال سفيان الثورى : من زعم أن عليًّا كان أحق بالولاية من أبى بكر وعمر فقد أخطأ، وخطأ أبا بكر، وعمر، والمهاجرين والأنصار

بعض مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه

لست أدرى ماذا أقول فى مناقب سيدنا عمر بن الخطاب التى يعجز اللسان عن سردها، ويكل البنان عن شرحها ؟

إنى أكتفى بأن أقول ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار ابن ياسر :

ياعمار أتانى جبرائيل آنفا فقلت له : ياجبرائيل، حدثنى بفضائل عمر ابن الخطاب فى السماء . فقال : يامحمد لو حدثتك بفضائل عمر بن الخطاب مثل مالبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً مانفدت فضائل عمر (وأن عمر حسنة من حسنات أبى بكر)

ولنبدأ بذكر بعض أمثلة من مناقبه وفضائله فنقول :

أمثلة من هيبته

١ – عن سعد بن أبي وقاص قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن

فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل ورسول الله يضحك ؛ فقال له عمر : أضحك الله سنك يارسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب

فقال عمر : فأنت كنتَ أحق أن يهبن

ثم قال : أى عدوات أنفسهن ، لتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلن : أنت فظ غليظ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكًا فجاً إلَّا سلك فجًا غير فجك ، أى هرب منك الشيطان ياعمر (فى الصحيحين)

٢ – ذكر ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا فسمعت لغطًا وصوت صبيان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا حبشية تزفن (ترقص)

والصبيان حولها ، فقال : ياعائشة تعالى فانظرى ، فجئت فوضعت لَحْيِي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أنظر اليهم مابين المنكب الى رأسه فقال لى : أما شبعتِ ؟ أما شبعتِ ؟ قالت : فجعلت أقول لا : لأنظر منزلتى عنده ، إذ طلع عمر فارفض الناس عنها (أى انفض الناس عنها) قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

انى لأنظر الى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر

قالت : فرجعت

٣ ـ وذكر ابن الأثير فى أسد الغابة عن بريدة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه (غزواته) فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت : يارسول الله إنى كنت نذرت إن ردَّك الله سالما من غزواتك أن أضرب بين يديك بالدُّف . قال : إن كنت نذرت فاضربى ، وإلَّا فلا . فجعلت تضرب ، فدخل أبو بكر وهى تضرب ، ثم دخل عمر وهى تضرب ، فألقت الدُّف تحتها ، وقعدت عليه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن الشيطان ليخاف منك ياعمر . إنى كنت جالساً وهى تضرب ، فدخل أبو بكر وهى تضرب ، ثم دخل علىّ وهى تضرب ، ثم دخل عثمان وهى تضرب ، ثم دخلت أنت فألقت الدُّف

وفى هذه القصة قال حافظ ابراهيم رحمه الله :

« أَرَيْتَ تِلكَ الَّتى للهِ قد نَذَرَتْ أُنْشُودَةً لِرَسولِ اللهِ تُهْدِيهَا »

« قَالَتْ نَذَرْتُ لَئِنْ عَادَ النَّبِيُّ لَنَا مِنْ غَزْوِهِ لَعَلَى دُفِّى أُغَنِّيهَا »

« وَيَمَّمَتْ حَضْرَةَ الْهَادِى وَقَدْ مَلأَتْ أَنْوارُ طَلعَتِهِ أَرْجَاءَ نَادِيهَا »

« وَاسْتَأْذَنَتْ وَمَشَتْ بِالدُّفِّ وَاندفعَتْ تُشْجِى بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا »

« وَالْمُصْطَفَى وَأَبُو بَكرٍ بِجَانِبِه لَا يُنْكِرَانِ عَلَيهَا مِن أَغَانِيهَا »

« حَتى إِذَا لَاحَ عَنْ بُعدٍ لَهَا عُمَرٌ خَارَتْ قُوَاهَا وَكَادَ الخوفُ يُرْدِيها »

« وَخَبَّأَتْ دُفَّهَا فِى ثَوبِهَا فَرَقًا مِنهُ وَوَدَّت لَو انَّ الأَرضَ تَطوِيها »

« قَدْ كَانَ حِلمُ رَسُولِ اللهِ يُؤْنِسُهَا فَجَاءَ بَطشُ أَبِى حَفصٍ يُخَشِّيهَا »

« فَقَالَ مَهبِطُ وَحيِ اللهِ مُبتَسِمًا وَفِى ابتِسَامَتِهِ مَعنًى يُوَاسِيهَا »

« قَدْ فَرَّ شَيطَانُهَا لَمَّا رَأَى عُمَرًا إنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا »

مثال من سطوته وهيبته ومساواته بين المسلمين

روى أن أحد أكابر الملوك وهو (جبلة بن الأيهم) عندما أراد الدخول فى الإسلام أقبل الى المدينة فى خمسمائة فارس عليهم ثياب الوشى ، وهو لابس تاجه ، وفيه قرط (مارية بنت ظالم) زوجة الحارث

الأكبر الغسانى ، كان فيـه لؤلؤتان عجيبتان ، ففرح أمير المؤمنين عمر بإسلامه وفرح المسلمون ، وخرجوا لمقابلته حتى حضر موسم الحج من عامه مع عمر رضى الله عنه

وبينما هو يطوف بالبيت الحرام إذ وطىء على إزاره (ردائه) رجل أعرابى من بنى فزارة فحله ، فلطمه جبلة على وجهه فهشم أنفه ، فذهب الاعرابى الى سيدنا عمر ليشكو الملك

فطلبه سـيدنا عمر وقال له : مادعاك ياجبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت أنفه ، فقال : إنه وطىء إزارى فحله

فقال عمر : أما أنت فقد أقررت ، إما أن ترضيه ، و إما أن يضربك مثل ماضربته ؟ فعجب لذلك جبلة وقال : كيف يضربنى وأنا ملك كبير ، وهو من السوقة ؟ فلا يصح أن يضربنى كما ضربته ، وهل أستوى أنا وهو فى ذلك ؟

فقال له عمر : ياجبلة لقد جمعك و إياه الإسلام . والاسلام ساوى بينكما وكل المسلمين سواء ، لافرق بين الملك والرعية ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى

فقال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام ، أعز منى فى الجاهلية

قال عمر : هو كذلك

قال جبلة : أَخِّرني إلى غد يا أمير المؤمنين ؛ قال عمر : ذلك لك

فلما جنّ الليل خرج هو وأصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية

على (هرقل) ملك الروم ، فتنصر وأقام عنده ، ثم ندم على ذلك ، وقال

أبياتا منها :

« تَنَصَّرت الأَشرافُ من عَار لَطْمةٍ
وَمَا كَانَ فيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرْ »

« تَكنَّفَنِى مِنهَا لَجَاجٌ ونَخْوةٌ
فَبِعْتُ بِها العينَ الصَّحيحةَ بالعوَر »

« فيَاليتَ أُمِّى لم تَلِدْنِي وَلَيْتَنى
رَجَعتُ الى الأَمرِ الَّذى قالَهُ عُمَرُ »

وعمر لم يكن يريد بعمله هذا التنفير من الإسلام ؛ وإنما كان يريد

الانصاف والتسوية بين المسلمين دون محاباة

وهكذا كان الدين الذى تخلق به عمر رضى الله عنه

وفى هـذه الحادثة قال حافظ ابراهيم رحمه الله :

« كَم خِفتَ فِى اللهِ مَضعُوفًا دعَاك بِهِ
وَكَم أَخَفتَ قَوِيًّا يَنْثَنِى تِيهَا »

أى ان عمر كان يخاف من الضعفاء كثيراً فى سـبيل الله ، وكان يُخيف الأقوياء فى سبيل الله تعالى ، وهذا تأييد لقوله فى خطبة له :

« إن أقواكم عنـدى الضعيف حتى أعطيه حقه ؛ وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه »

« أيها الناس إنى متبع ، وليس بمبتدع ، فاذا أحسنت فأعينونى ، واذا زغت فقومونى »

« وَفِى حَديثِ (فتى غسانَ (١)) مَوعظةٌ
لِكلِّ ذِى نُعْرَةٍ يَأْبَى تَنَاسِيهَا »

« فمَا القَوِىُّ قَوِيًّا رَغْمَ عِزَّتِهِ
عِندَ الخصُومَةِ والفَارُوقُ قَاضيها »

« ومَا الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بعـدَ حُجَّتِهِ
وَإِن تخَاصَمَ وَاليهَا وَرَاعيها »

أى ليس الضعيف ضعيفاً بعد إقامة الحجة ، بل يكون قويًّا ، لأن الوالى وراعى الماشية متساويان فى الخصومة أمام عدالة عمر رضى الله عنه

---

(١) جبلة

مثال من صدقه والوفاء بوعده

عمر بن الخطاب والهُرْمُزان

لما أتى (بالهُرمزان) أسيراً الى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم ، وصاحب رئيسهم . فقال له عمر : أُعرض عليك الإسلام نصحًا لك فى عاجلك وآجلك

قال يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ، ولا أرغب فى الإسلام فدعا له عمر بالسيف . فلما همَّ بقتله قال : يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلى على ظمأ ؛ فأمر له بشربة من ماء ؛ فلما أخذها قال : أأنا آمن حتى أشربها ؟

قال عمر : نعم . فرمى بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج

قال عمر : صَدقت ، لك التوقف عنك ، والنظر فى أمرك ، إرفعا عنه السيف ، فلما رفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وما جاء به حق من عنده

فقال عمر : أسلمت خير إسلام فما أخَّرك ؟ قال : كَرهت أن تظن أنى أسلمت جزعاً من السيف . فقال عمر : إن لأهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ، ثم أمر به أن يُـبَرَّ ويكرم ، وكان بعد يشاوره فى توجيه الجيوش لأهل فارس

فمن هذه الحادثة نرى مقدار صدق سيدنا عمر ، وأنه اذا قال شيئاً فعله ، ولا يغير كلامه ، ويفي بوعده ، وهذه هى أخلاق المؤمن حقاً ، إذا قال صدق ، و إذا وعد أوفى

مثال من تقشفه وعدله

أرسل (كسرى) رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ، وليشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال : أين ملككم ؟ فقالوا : مالنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة

فخرج الرسول فى طلبه ، فرآه نائماً فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار ، وقد وضع بُردته كالوسادة تحت رأسه ، والعرق يسقط من جبينه ، الى أن بلَّ الأرض ، فلما رآه الرسول على هذه الحال ، وقع الخشوع فى قلبه ، وقال : رجل تخاف جميع الملوك من هيبته تكون هذه حالته

ثم قال عبارته المشهورة (عَدلتَ ياعمر فنِمتَ) وملكنا يجور فلا جرم أن بقى ساهراً خائفاً (أى أن سيدنا عمر يعدل بين الناس ويسوى بينهم فأمن ونام ، ولكن ملكنا يظلم ويحب نفسه ويصرف أموال الأمة على نفسه فهو بلا شك يكون خائفاً ولا ينام مستريحاً)

وفى ذلك قال المرحوم حافظ ابراهيم :

« وَراعَ صَاحِبَ كِسرَى أَنْ رأى عُمَراً
بَيْنَ الرَّعيَّةِ عُطْلاً وَهْوَ راعيها »

أى أن رسول كسرى أعجبه أن شاهد سيدنا عمر رضى الله عنه عُطلا أى غير متحل بأبهة الملك وهو خليفتها وراعيها

« وَعَهدُهُ بِمُلوكِ الفُرسِ أَنَّ لهَا سُوراًمِنَ الُجندوالأَحْرَاسِ يَحميها»

وهو يعرف أن ملوك الفرس لها جنود وحرس

« رَآهُ مُستغْرِقا فِى نَوْمِهِ فَرَأَى فِيه الجَلالَةَ فى أَسْمَى مَعَانيها »

أى رآه مستثقلا فى نومه ، فرأى فيه العظمة وعلو القدر

« فوقَ الثَّرَى تحتَ ظِلِّ الدَّوحِ مُشتَمِلاً
بِبرُدَةٍ كادَ طولُ العَهْدِ يُبْلِيها »

رآه نائمـا فوق التراب تحت ظل شجرة ملتفا ببُردة (وهى كساء العرب) كادت تكون بالية من طول الزمن

« فَهانَ فى عَينهِ مَا كان يُكبِرُهُ مِنَ الأَكَاسِرِ والدُّنيا بأَيْديها »

أى حقر فى عينه ما كان يستعظمه من الأكاسرة ملوك الفرس وبأيديهم الملك العظيم

« وَقَالَ قَولةً أَصْبَحت مَثَلاً وَأَصْبَحَ الجيلُ بعدَ الجيلِ يرويها »
« أمِنتَ لَمَّا أقمتَ العدلَ بينَهُمُ فَنِمْتَ فيهم قَرِيرَ العين هَانيها »

أى قال عبارة صارت مثلا ، يرويها الجيل بعد الجيل ، أى يتناقلها الناس على مرِّ الزمان ، وهى (عَدَلتَ فَنِمتَ) أى اطمأننت ياعمر ، لما أقمت العدل فى رعيتك ، ونمت قرير العين ، مسروراً متهنئًا ، لأن نومك نوم هادئ ، لافزع فيه

وهكذا يكون الزهد والتقشف ، ويكون العدل والأمن فى الرعية

مثال آخر من تقشفه

قال العتبى : بُعث الى عمر بحلل فقسمها ، فأصاب كل رجل ثوب ، فصعد المنبر وعليه حُلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون ؟

فقال سلمان : لانسمع

قال : ولِمَ يا أبا عبد الله ؟

قال : لأنك قسمت علينا ثوبًا ثوبًا وعليك حلة

قال : لاتعجل يا أبا عبد الله

ثم نادى : ياعبد الله ، فلم يجبه أحد

فقال : ياعبد الله بن عمر

قال : لبيك يا أمير المؤمنين

قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى اتَّزَرتُ به هو ثوبك ؟

قال : اللَّهم نعم

فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل ، نسمع

مثال من رحمته واهتمامه بامور رعيته

كان سيدنا عمر رضى الله عنه يطوف ليلة على حسب عادته ليقف على أحوال رعيته ، فرأى بيتا من الشعر (أى خيمة) وهكذا كانت بيوت العرب

ولم يكن رأى هـذا البيت من قبل ، فقرب منه ليعرف خبره ، فسمع فى داخله أنين امرأة ، ورأى رجـلا خارجه ، فجاء الى الرجل وسأله عن وجوده وعن أنين المرأة . فقال له : انى غريب وامرأتى تلد داخل البيت ولا أحـد عندها ، فذهب سيدنا عمر الى منزله ، وأخبر زوجته (أم كلثوم) بنت سيدنا الامام على بن أبى طالب ، وبنت السيدة فاطمه رضى الله عنها، فتوجهت معه الى البيت الذى فيه المرأة ، بعد أن أخذت مايلزم من الدهن والملابس . وأخـذ هو قدراً وشيئاً للطبخ، فحمل القدر، ومشت وراءه (أم كلثوم) حتى أتى الى بيت الغريب ، فدخلت زوجته الى المرأة لتساعدها ، وقال للرجل : أوقد ناراً ، وكان سيدنا عمر ينفخ فى النار بنفسه ليشعلها ، حتى ان الدخان كان يمر من

بين لحيته حتى طاب الطبيخ، وولدت المرأة

فقالت أم كلثوم لسيدنا عمر : بَشّرَ صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام (تريد أن المرأة ولدت ولداً ذكراً) وكان الرجل الغريب لايعرف أن الذى يوقد النار وينفخ فيها هو سيدنا عمر أمير المؤمنين . فلما سمع كلمة أمير المؤمنين خاف وخجل ، وأراد أن يعتذر لسيدنا عمر . فقال له : يجب علىَّ أن أفعل ذلك بنفسى ؛ ثم قام وحمل القدر الى باب البيت وناولها أم كلثوم ، فأطعمت المرأة حتى اذا ارتاحت خرجت أم كلثوم

فقال سيدنا عمر للرجل : قم الى بيتك ، وكل مابقى فى البرمة ، ثم قابلنى غداً إن شاء الله تعالى

فأكرمه سيدنا عمر ثانى يوم ، وانصرف الرجل من عنده مسروراً شاكراً

وهكذا كان سيدنا عمر رضى الله عنه شديد الحرص على راحة رعيته يتفقدهم بنفسه ، ويهتم بشؤونهم أكثر من اهتمامه بشؤون بيته وبلغ ذلك به أنه كان يعس أكثر لياليه بالمدينة بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد أحوالهم

وهكذا شأن الأمراء العظام الذين يعرفون أنهم بما فوض اليهم من أمر الهيمنة على القانون ، خدام للرعية ، مسؤولون عن راحة الأمة وسعادتها ؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته

مثال من اهتمام عمر برعيته

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر الى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي (مات) وترك صبية صغاراً ، والله ماينضجون كراعاً ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت عليهم الضياع ، وأنا ابنة (الغفارى) وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف عمر معها ولم يمض ، وقال : مرحباً مرحباً بنسب قريب

ثم انصرف الى بعير كان مربوطاً فى الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً ، وجعل بينهما نفقة وثياباً ، ثم ناولها خطامه ، وقال لها : اقتاديه ، فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير

فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها العطاء

فقال عمر : ثكلتك أمك ، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً ، فافتتحاه فى الدمشقية ، ثم أصبحنا نستفىء سهامهما فيه

مثال من شفقته ، ورحمته برعيته

ذكر ابن الجوزى عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم (مولى عمر) قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى (حرة واقم) مكان بقرب المدينة ، حتى اذا كنا (بصرار) جبل ، إذ نار تتقد

فقال : يا أسلم ، إني لأرى هاهنا ركبًا قد ضربهم الليل والبرد انطلق بنا . فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فاذا أنا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون (أى يصيحون ويتلوون)

فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، وكره أن يقول يا أصحاب النار (فما أرق هذا الشعور ، وما أعظم هذه البلاغة)

فقالت المرأة : وعليكم السلام . فقال أأدنو ؟ فقالت : ادن بخير أودع فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت ضربنا الليل والبرد . فقال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع . قال : وأى شىء فى هذه القدر ؟

قالت : ما أُسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا و بين عمر

قال : إى رحمك الله ، وما يدرى عمر بكم ؟ قالت : يتولى أمرنا و يغفل عنا

قال : فأقبل علىّ (أى على أسلم) فقال : انطلق بنا ، فانطلقنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلًا من دقيق وكبةً من شحم ، فقال : إحمله علىّ . فقال أسلم : أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين . فقال : أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أمّ لك ؟ فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه اليها فهرول فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئًا فجعل يقول لها : ذرّى علىّ وأنا أُحرك لك ، وجعل ينفخ تحت القدر ،

وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلت أنظر الى الدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضج ، ثم أنزل القدر بيده وقال : أعطنى شيئًا ، فأتته بقصعة أو صحفة فافرغ الطعام فيها ، وقال لها : أطعميهم وأنا أسطح لك . فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك ، ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى . فجعلت تقول : جزاك الله خيراً كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين . فيقول لها : قولى خيراً إنك اذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله

ثم جعل يده على يدى وقصدنا المدينة وقال لى : يا أسلم ان الجوع عدو ، وقد رأيتهم وهم يبكون ، فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون

وفى هذه الرواية قال المرحوم حافظ رحمه الله :

« وَمَن رَآهُ أَمَامَ القِدرِ مُنبَطِحاً
والنَّارُ تَأْخُذُ منهُ وَهْوَ يذكيها [1] »

« وَقَد تخَلَّلَ فِي أَثنَاءِ لحيَتِهِ
مِنها الدُّخَانُ وفُوهُ غاب فى فيهَا »

« رَأَى هُناكَ أَميرَ المُؤمِنِينَ عَلَى
حال ترُوعُ لِعَمرُ اللهِ رَائيها »

---

(١) أى يشعلها

« يَسْتَقبِلُ النَّار خوفَ النَّارِ فى غَدِهِ
والعينُ مِن خَشْيَةٍ سالت مآقيها »

فهكذا تكون رحمته ، وشفقته برعيته ، وخشيته من الله تعالى

مثال من عدله فى رعيته

روى أنس قال : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاعداً إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك . فقال عمر : لقد عذت بمجيب ، فما شأنك ؟

قال الرجل : سابقت على فرسى ابناً لعمرو بن العاص ، وهو يومئذ أمير على مصر ، فجعل يقنعنى بسوطه ، ويقول : أنا ابن الأكرمين فبلغ ذلك عمراً أباه ، فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن ، فانفلت منه وهذا حين أتيتك

فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك فقدم عمرو بن العاص ، فشهد الحج . فلما قضى عمر رضى الله عنه الحج ، وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى ، فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدِّرة

قال أنس : ولقد ضربه، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضربه، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين

قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت

قال عمر : ضعها على صلعة عمرو فوالله ماضربك إلا بفضل سلطانه

فقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى

قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع

ثم قال عمر رضى الله عنه : ياعمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً . فجعل يعتذر ، ويقول : انى لم أشعر بهذا

فهذا مثال من عدل عمر رضى الله عنه فى رعيته ، فالواجب على كل عاقل أن يكف يده عن الظلم، وليعلم أن المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، وأن يسلك سنن العدل ، وأن يعامل الناس بالنصفة (١) وأن يراقب الله فى السر والعلانيـة

وليعلم ان الله سبحانه وتعـالى يجازى على الخير والبرّ ، ويعاقب على الظلم والشر

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ابراهيم

---

(١) بالانصاف

مثال من احترامه لحقوق المرأة

جاء رجل الى عمر رضى الله عنه يشكو اليه خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظرهُ ، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها ، وهو ساكت لايرد عليها ، فانصرف الرجل قائلا : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فكيف حالى

فخرج عمر فرآه موليًا فناداه : ماحاجتك يا أخى ؟

فقال: يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو اليك خلق زوجتى واستطالتها على، فسمعت زوجتك كذلك . فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى

فقال له عمر : تحملتها لحقوق لها علىَّ فانها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، وسكن قلبى بها عن الحرام ، فأنا أتحملها لذلك

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى

قال عمر : فتحملها يا أخى فانما هى مدة يسيرة

(عن نور الأبصار)

محافظته على صحة رعيته

عن أبى وائل قال : مرَّ عمر رضى الله عنه بعجوز تبيع لبنا معها فى

سوق الليل ، فقال لها : ياعجوز لاتغشى المسلمين ، وزوار بيت الله، ولا تشوبى اللبن بالماء

فقالت : نعم يا أمير المؤمنين

ثم مرّ بعدذلك فقال : ياعجوز ألم أتقدم اليك ألا تشوبى لبنك بالماء فقالت : والله مافعلت . فتكلمت ابنة لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أماه أغشاً وكذباً جمعت على نفسك

فسمعها عمر ، فهمّ بمعاقبة العجوز ، فتركها لكلام ابنتها ، ثم التفت الى بنيه فقال لهم : أيكم يتزوج هذه البنت ؟ فلعل الله عز وجل أن يخرج منها نسمة طيبة مثلها

فقال عاصم بن عمر : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها إياه . فولدت له أم عاصم . فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان . فولدت له عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وقد ورد فيه الناقص والأشج أعدلا بنى مروان ، فكان هو الأشج

« وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : اللَّهم أعز الإسلام بالعمرين »

مثال من خدمته ومساعدته للفقراء

ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج فى سواد الليل

وأخذ يدخل بيتاً ثم يخرج منه الى غيره . فرآه سيدنا طلحة وعلم بعض البيوت التى دخلها ، فلما جاء وقت الصبح ذهب سيدنا طلحة الى ذلك البيت الذى دخله سيدنا عمر ليلاً ، فوجد فيه عجوزاً عمياء مقعدة (أى لاتقدر على المشى) فسألها عن السبب الذى كان يأتى من أجله سيدنا عمر وقال لها : لماذا يأتى هذا الرجل الى بيتك ؟ يريد سيدنا عمر . فقالت له : انه يسأل عني، ويأتى بما يصلح لى من الأشياء التى أحتاج اليها ، ثم أنه يخرج عني الأذى (أى نه كان يقضى لها مصالحها ويخدمها ويحضر اليها ماتحتاج اليه وينظف لها مسكنها)

فقال طلحة : ثكلتك أمك ياطلحة، أعثرات عمر تتبّع ؟

وهذه ولاشك أعظم خدمة ومساعدة كبرى ، واحسان للفقراء ، وشفقة بالضعفاء ، فجزاه الله خير الجزاء

No mistakes on part Umar

مثال من تواضعه

عن الفضل بن عميرة : ان الأحنف بن قيس قدم على عمر فى وفد من العراق ، قدموا عليه فى يوم صائف (شديد الحر) وهو محتجز بعباءة ويهنأ بعيراً (أى يعالج بميراً كان مريضاً من إبل الصدقة) فقال: يا أحنف ضع ثيابك وهلمّ فأعِن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من إبل الصدقة ، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة

فقال رجـل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ؟

قال عمر : وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف؟ هذا أنه من ولى أمر المسلمين ، فهو عبد المسلمين، يجب عليه لهم مثل مايجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة فى المداراة

فلله أى نفس طاهرة بارّة هـذه النفس ؟ وأى حنان خالص من شوائب التصنع والرياء هذا الحنان ؟ وأى خليفة عظيم بعد عمر يحمل نفسه مثل هذا العناء، ويضع نفسه فى هذه الرتبة من التواضع والرحمة؟

مثال آخر من تواضعه

فى المناقب عن حسن رضى الله عنه قال :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينه و بين رجل كلام فى شىء فقال له الرجل : اتق الله ، فقال رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟

فقال له عمر : دَعه فليقلها لى ، نعم ماقال ، لاخير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نقبلها

وليس قول عمر هذا من قبيل التواضع فقط ؛ بل من قبيل العلم

بوجوب النصيحة على المسلمين (لأن الدين النصيحة) وبوجوب انتصاح الامام منهم ،ورضاه بنصحهم ، وتذكيرهم له بالتقوى والعدل

مثال آخر

ذكروا أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام عرضت له فى طريقه مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه ، فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : قد صنعت صنعاً عظيماً عند أهل الأرض (يعنى أهل الشام) فصك عمر فى صدره وقال له :

أواه! لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة . إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله

فهكذا تكون أخلاق الرجال العظام، الذين رفع الله نفوسهم بفضيلة التواضع (فإن من تواضع لله رفعه) لا بالكبرياء ، وسوَّدهم على الأمم بعزة النفس ، لا بالغطرسة والتجبر ، وحببهم الى الناس بحسن الخلق لا بالخيلاء، والنفاق والرياء

مثال من حبه لرعيته ، وسهره على مصالحها

أرسل سيدنا عمر الى سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وهو من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : قد نزل عند باب المدينة قافلة ، وأخاف اذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم ، فهيَّا بنا لحراستها ، فسار معه سيدنا عبد الرحمن ؛ ولما وصلا الى المكان الذى نزلت فيه القافلة ، قال له سيدنا عمر : نَم أنت ، وأنا أحرسها

ثم جعل يحرس القافلة طول ليلته والناس نيام ، وعينه لاتنام عن عبادة ربه

مثال من زهده وقصده

سأل سيدنا عمر رضى الله عنه بعض الصالحين فقال له : هل رأيت منى شيئًا تكرهه ولا تحبه لى ؟ فقال له : نعم سمعت أنك وضعت على مائدتك رغيفين ، وأن لك قميصين : أحدهما لليل ، والآخر للنهار

فعدل سيدنا عمر رضى الله عنه عن ذلك ؛ لأنه علم أن ذلك تبذير وإسراف ، وهو لايريد إلا الشيء الضرورى ، وذلك ليوفر الأشياء للمسلمين ، ويحافظ عليها لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾
الاسراء

وقد فعل ذلك سيدنا عمر لحبه فى مصلحة المسلمين،وزهده فى الدنيا

مثال آخر من زهده

ومن أمثلة زهده رضى الله عنه، وكفه عن شهوات الدنيا ، وكان بيده خيرها وثمراتها، أنه بعد فتحه فارس،كان يأتيه الذهب وهو خمس الفيء فيبكى و يقول : ان الله زوى الدنيا عن محمد صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، و بذلها لى ، فأخشى أن يكون قد فعل ذلك ليهلكنى ، ولكن عمر لم يهلك ، ولم تشغله هذه الأموال الهائلة المحمولة له ، فقد زهد فيها جميعاً ، وأصبح يكتفى بالكسرة والتمرة ، وبيده خزائن الأرض

وحكى أن سعد بن أبى وقاص بعد فتحه فارس ، وانتهاب جواهر كسرى ، أراد أن يهدى الى عمر جواهر من تلك التيجان، التى كان يتعصب بها هؤلاء الملوك ، فأرسل رسولاً ببعضها، فذهب من الكوفة الى المدينة ، وهنا يقول : أتيت عمر فوجدته قائماً فى الغروب يطعم الناس، و بيده درته، ويقول : ضع مرقاً هنا يايرفأ (اسم خادمه) ضع خبزاً هنا، حتى أكل الناس وانصرف، فتبعته حتى دخل منزله ونادى

بزوجته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب قائلا : هلمُّ العشاء يا أم كلثوم فأخرجت له ملحاً جريشاً وخبزاً يابساً ، وعندئذ لمحنى واقفاً على الباب فنظر الى وقال : كأنك لم تشبع . فو الله لقد كان طعامكم خيراً من هذا

فقلت له : يا أمير المؤمنين إنما أنا رسول سعد ، وقد أرسل لك جوهرتين من تاج كسرى ، وهما معى فى هذا السفط (وعاء كالقفة) وأريته سَفطاً كان معى ، فقال : حسناً ، ألقه هناك ، ثم ودعت ، وانصرفت الى الكوفة ، فلم أكد أنيخ راحلتى بالكوفة ، حتى أدركنى رسول عمر وقال : أجب أمير المؤمنين

فرجعت ، فاذا بعمر واقفاً وبيده الدِّرة وقال : ويل أمك ماذا صنعت بى ؟ فما هو بعد أن تركتنى ونمت أتى الى ملكان فأمسكا بى وقادانى الى السَفَطَ فاذا هو شعلة من نار ، فخذه عنى وبعه ، وفرق ثمنه على المسلمين

مثال آخر

خرج عمر رضى الله عنه من المسجد (والجارود العبدى) معه فبينما هما خارجان اذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام . ثم قالت : رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة . فقال لها : قولى قالت : يا عمر ، عهدى بك وأنت تسمى عميراً فى سوق عكاظ

تصارع الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين ، فاتق الله فى الرعية ، واعلم انه من خاف الموت، خشى الفوت . فبكى عمر رضى الله عنه

فقال الجارود للمرأة : قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته

فقال عمر : دَعها؟ أما تعرف هذه ياجارود هذه (خولة بنت حكيم) التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها

أراد بذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ﴾ المجادلة

٧٠

مثال من شفقته ورحمته برعيته

كان رضى الله عنه رحيما، شفيقًا بالناس . دخل عليه أحد عماله فوجده مستلقيًا على ظهره، وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر ذلك عليه

فقال عمر : كيف أنت مع أهلك ؟

قال : اذا دخلت سكت الناطق

فقال له : اعتزل عملنا ، فانك لاترفق بأهلك وولدك؟فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

احترامه للشرع والحق

لما رأى عمر رضى الله عنه الرجال يُغالون فى مهور النساء ، أراد أن يجعل لها حداً ، فخطب المسلمين فى المسجد مشيراً الى ذلك

فردت عليه امرأة وقالت : كيف تفعل هذا ؟ وقد قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ النساء

فرجع عمر عن رأيه وقال : أصابت امرأة ، وأخطأ عمر

مثال من عفته وأمانته وحرصه على مال المسلمين

حدثنى محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح قال :

لما أُتِى عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود كان فى يده ويقول : والله ان الذى أدى الينا هذا لأمين

فقال رجل : ياأمير المؤمنين أنت أمين الله ، يؤدون اليك ما أديت الى الله ، فاذا رتعت رتعوا

قال : صدقت



مثال آخر

يحكى أن زوجة سيدنا عمر رضى الله عنه (أم كلثوم) بنت الامام على وبنت فاطمة الزهراء، بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ، اشتهت نفسها الحلوى فقال لها : ليس لنا مانشترى به

فقالت : أنا أستفضل من نفقتنا فى عدة أيام مانشترى به

فقال لها : افعلى . ففعلت ذلك، واجتمع لها فى أيام كثيرة شىء يسير ، فلما عرفته ذلك ليشترى به الحلوى أخذه فرده الى بيتَ المال . وقال : هـذا يفضل من نفقتنا ، وأسقط من نفقته بمقدار مانقصت كل يوم ، وغرمه لبيت المال من ملك كان له

وفى ذلك قال المرحوم حافظ بك ابراهيم :

« يومَ اشْتهتْ زَوْجُه الْحَلوى فقال لها :

مِن أينَ لى ثمَنُ الْحَلْوى فَأَشْريها ؟ »

« لاتمتطى شهواتِ النفْسِ جامِحـةً

فكِسْرَةُ الخبزِ عَن حَلوَاكِ تجزِيها »

« وهَل يَفى بَيتُ مال المسلمينَ بمـا

تُوحِى إليكِ اذا طَاوَعتِ مُوحيها ؟ »

«أى لاتتبعى شهوات النفس، فان مال بيت المسلمين لا يكفى لشهواتك اذا استرسلت فيها»

« قَالَتْ : لَكَ اللهُ إنى لَسْتُ أرزؤهُ
مَالًا لحاجَـةِ نفسٍ كُنتُ أبغيهَا »

« لَـكِن أُجَنِّبُ شَـيئًا مِن وظيفَتِنا
فى كُلِّ يَومٍ على حالٍ أُسَوِّيها »

« حَتَّى إذَا مَامَلَـكنا مَايُكافِئُها
شَرَيتُها ثُمَّ إنى لاَ أُثَنِّيها »

« قَالَ: اُذْهَبى وَاُعلمِى إنْ كُنتِ جاهلَةً
أَنَّ القَناعةَ تغْنى نَفسَ كَاسيها »

« وَأَقبَلَت بَعـد خَمسٍ وهى حَاملةٌ
دُرَيهماتٍ لتقضى مِن تَشَهيها »

« فقـال : نَبَّهتِ منى غافلاً فَدعى
هَذى الدَّراهِمَ إذ لَاحَقَّ لِى فيها »

« وَيلِى عَلَى عُمَرٍ يَرضَى بِمُوفيـةٍ
على الـكفاف وَيَنْهَى مُستَزِيديها »

«أى نبهتنى لما يجب على أن أفعله ولا حق لى فى هذه الدريهمات

لأنها أمكن توفيرها من مرتب الوظيفة » وقد وعد ألَّا يأخذ من مال المسلمين إلَّا ما يصلحه ، ويصلح عياله بالمعروف

« مَا زَادَ عن قُوتِنا فالمُسلمون بهِ
أوْلَى فقُومِى لبيت المـالِ رُدِّيها »

« كَذَاكَ أخلاقُه كانت وَمَا عُهِدَت
بعدَ النُّبُوَّةِ أَخـلاقٌ تُحاكيها »

مشتراه ظلامة امرأة بخمسة وعشرين ديناراً

قيل : لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام الى المدينـة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمرّ بعجوز فى خِباء لها، فقصدها فقالت : مافعل عمر رضى الله عنه ؟ قال : قد أقبل من الشام سالمـًا

فقالت : ياهذا لاجزاه الله خيراً عنى . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنه ما أنالنى من عطاياه منذ ولى أمر المسلمين ديناراً ولا درهمًا

فقال : وما يدرى عمر بحالك ، وأنت فى هذا الموضع ؟

فقالت : سبحان الله ، والله ماظننت أن أحداً يلى على الناس ولا يدرى مابين مشرقها ومغربها . فبكى عمر رضى الله عنه وقال : واعمراه ! كل واحد أفقه منك حتى العجائز ياعمر . ثم قال لها : يا أمة

الله بكم تبيعني ظلامتك من عمر فاني أرحمه من النار ؟

فقالت : لاتهزأ بنا يرحمك الله

فقال عمر : لست أهزأ بك ، ولم يزل بهـا حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً ؛ فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا : السـلام عليك يا أمير المؤمنين . فوضعت العجوز يدها على رأسـها وقالت : واسوءتاه ! شتمت أمير المؤمنين فى وجهه

فقال لها عمر رضى الله عنه : لابأس عليك ، يرحمك الله

ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجـد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا ما اشترى عمر من فلانه ظلامتها منذ ولى الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً ، مما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعـالى ، فعمر بَرِىء منه

(شهد على ذلك . على، وابن مسعود)

ثم دفعها الى ولده وقال : إذا أنا مُت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى

وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه

توفى عمر رضى الله عنه فى أواخر ذى الحجة سنة ٢٣ من الهجرة وعمره ٦٣ سنة ، ومدة خلافته ١٠ سنين وستة أشهر ، شهيداً بيد (أبى لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة) وهو غلام مجوسى اسمه (فيروز) حيث تربص له هذا الشقى حتى دخل المسجد وكبَّر للصلاة ، وكبَّر الناس وراءه ، فانقضَّ عليه وطعنه بخنجر ، وطعن معه ثلاثة عشر رجلا ، مات منهم سبعة ، ولما قبضوا عليه نحر نفسه ، فقال عمر رضى الله عنه حين أدركه النزف : قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ، ثم غلب على عمر النزف حتى غُشى عليه

فكان موت سيدنا عمر بهذه الكيفية الوحشية أول مصيبة وأعظم خطب حلَّ بالمسلمين بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم

ودفن عمر بالروضة الشريفة التى بها قبر النبى عليه الصلاة والسلام

وقال حافظ بك فى مقتل سيدنا عمر رضى الله عنه :

« مَولَى المُغيرَةِ لا جَادَتكَ غَادِيةٌ　　مِن رَحمَةِ اللهِ مَا جَاءَت غَوادِيها »

« مَزَّقتَ مِنهُ أَدِيماً حَشوُهُ هِمَمٌ　　فِى ذِمَّةِ اللهِ عَالِيهَا ومَاضِيها »

« طَعَنتَ خَاصِرةَ الفارُوقِ مُنتَقِماً　　مِنَ الحنيفَةِ فى أعلَى مَجَالِيها »

« فَأَصبَحَت دَولَةُ الإِسلامِ حَائِرةً　　تَشكُو الوَجِيعةَ لمَّا ماتَ آسِيها »

« مَضى وخَلَّفها كالطَّودِ راسِخةً　　وزَانَ بالعَدلِ والتَّقوَى مَغانيها »

سيدنا عمر والشورى فى الخلافة

سيدنا عمر رضى الله عنه أول من أمر بالتشاور لانتخاب الخليفة ، وأما قبله فكانت توليته بالاستخلاف

قدَّم النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر للصلاة ، فرضى به المسلمون لأمر دنياهم ، كما رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم

ثم استخلف أبو بكر عمر رضوان الله عليهما

فلما حدث حادث أبى لؤلؤة لم يرد عمر الاستخلاف ؛ بل أراد أن لايتحمل تبعتها ميتاً كما تحملها حياً ، فلم يعهد بها الى شخص بعينه وجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فدعى على بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأمرهم أن يتشاوروا فى أمر الخلافة ، وقال لهم : انتظروا أخاكم طلحة بن عبيد الله ثلاثاً فان جاء وإلَّا فاقضوا أمركم ، وليشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شئ . قوموا فتشاوروا ، وليصل بالناس صهيب

ثم قال لأبى طلحة الأنصارى : يا أبا طلحة إن الله أعزَّ بكم الإسلام فاختر خمسين رجلًا من الأنصار ، وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلًا منهم

وقال للمقداد بن الأسود : اذا وضعتمونى فى حفرتى، فاجمع هؤلاء الرهط وقم على رءوسهم ، فان اجتمع خمسة على رأى واحد ، وأبى واحد فاشدخ رأسه(كسّرْ)بالسيف ، وان اجتمع أربعة ورضوا، وأبى الاثنان فاضرب رأسهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا، فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس

وفى هذه القصة قال المرحوم حافظ ابراهيم بك :

« يَارَافِعاً رايَةَ الشُّورَى وحارِسَها ... جَزَاكَ رَبُّكَ خَيراً عن مُحِبِّيهَا »

« لَم يُلهِكَ النَّزعُ مِن تأييدِ دَولتها ... وللمَنيَّةِ آلامٌ تُعَانيها »

« لَم أنسَ أَمركَ للمِقدَادِ يَحمِلُهُ ... إلَى الجَماعَةِ إنذَاراً وتَنبيهَا »

« إن ظَلَّ بعد ثَلَاثٍ رَأْيُها شُعَبًا ... فجردِ السَّيفَ واضرب فى هَوَادِيها »

« فاُعجَب لقُوَّةِ نفسٍ لَيسَ يَصرِفُها ... طَعمُ المنيَّةِ مُرًّا عَن مَرَاميها »

« دَرَى عَميدُ بَنِى الشُّورَى بمَوضِعِها ... فَعاشَ مَاعاشَ يَبنيهَا ويُعليها »

« وَمَا استَبَدَّ برَأْيٍ فى حُكومَتِهِ ... إن الحُكومَةَ تُغرِى مُستَبِدِّيها »

« رَأيَ الجماعَةِ لاتشقى البلادُ بِهِ ... رَغمَ الخِلافِ ورَأْيُ الفردِ يُشقيها »

نبذ من حكمه

من كتم سرَّه كان الخيار فى يده

أعقل الناس أعذرهم للناس

ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع

لو أن الشكر والصبر بعيران لما باليت أيهما أركب

اتقوا من تبغضه قلوبكم

أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم

اقتصاد فى سُنَّة ، خير من اجتهاد فى بدعة

أشقى الولاة من شقيت به رعيته

لايكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً

مروا ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا

من لايعرف الشر كان أجدر به أن يقع فيه

من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل مايريد

ولولا القيامة لكان غير ماترون

نبذ من كلامه

كان رضى الله عنه يقول : اللّهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما احتضر كانت رأسه فى حجر ولده عبد الله فقال له : ياولدى ضع رأسى على الأرض ؟ فقال له عبد الله : وما عليك ان كانت على فخذى ، أم على الأرض . فقال : ضعها على الأرض . فوضع عبد الله رأسه على الأرض، فقال : ويلى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى! ثم قال: وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر ولا وزر علىّ

ومن كلامه أيضاً : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فانه أهون عليكم من الحساب غداً

شذرات من خطب عمر بن الخطاب

١ — أول خطبة لعمر

بعد أن بويع عمر بالخلافة بعد وفاة أبى بكر ، صعد المنبر فقال كلمة قصيرة اشتملت على سياسته التى اعتزم أن يسوس بها الناس

فقال ، بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله :

« إنما مثل العرب كمثل جمل أنف (ذلول) اتبع قائده ، فلينظر قائدُه أين يقوده ؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق »

وقد أراد بالطريق ، الطريق الأقوم الذى لا اعوجاج فيه

٢ — خطبته رضى الله عنه لما ولى الخلافة

لما دفن أبو بكر الصديق رضى الله عنه، صعد عمر المنبر فجلس ، ثم قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه، ثم قال :

«أيها الناس ، إنى داع فأمّنوا ، اللّهم انى شديد فألنى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلم منى لهم ، ولا اعتداء عليهم

اللّهم إنى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف

ولا تبذير، ولا رياء، ولا سمعة، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك، والدار الآخرة

اللهم ارزقنى خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين

اللَّهم إنى كثير الغفلة والنسيان، فألهمنى ذكرك على كل حال، وذكر الموت فى كل حين

اللهم أنى ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقنى النشاط فيها، والقوة عليها، بالنية الحسنة التى لاتكون إلا بفضلك وتوفيقك

اللَّهم ثبتنى باليقين والبرِّ والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى، والمحاسبة لِنفسى، وإصلاح الساعات، والحذر من الشبهات

اللهم ارزقنى التفكر والتدبر، لما يتلوه لسانى من كتابك، والفهم له والمعرفة بمعانيه، والنظر فى عجائبه، والعمل بذلك مابقيت إِنك على كل شىء قدير

٣ — من خطبة له

ما كان الله ليرانى أن أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر

فنزل مرقاة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اقرأوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به، تكونوا من أهله، وزنوا به

أنفسكم قبل أن توزنوا وترتبوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية، انه لم يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله، ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة ولىّ اليتيم، إن استغنْيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف »

٤ ـــ من خطبة له

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

«يأيها الناس إنى قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استصلاحا بما ينوب عن مهم أموركم ماتوليت ذلك منكم

ولكنى عمر مهماًمحزناً موافقة الحساب بأخذ حقوقكم، كيف آخذها؟ ووضعها، أين أضعها ؟ وبالسير فيكم ، كيف أسير ؟ فربى المستعان

فان عمر أصبح لايثق بقوة ولا حيلة ، إن لم يتداركه الله عزوجل برحمته، وعونه ، وتأييده »

٥ — من خطبة له فى الحثّ على حسن معاملة الرعية

« يأيها الناس ، إنى والله ما ارسل عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ؛ ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم ، وسنتكم ،

ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الىّ ، فوالذى نفس عمر بيده لأُقِصَّنّهُ منه »

فوثب عمرو بن العاص فقال : ياأمير المؤمنين ، أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لتقُصّه منه ؟

قال : إِى والذى نفس عمرٍ بيده، اذن لأقصنّه منه ، وكيف لا أقِصُّه منه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه ؟

ألا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمّروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم »

. . .

وكان عمر اذا بلغه عن عامل من عماله ريبة فى معصية لم يمهله أن يعزله ؛ لأن استصلاح الرعية بضرره بالعزل خير من الابقاء عليه مع ضرر الرعية

٦ — من خطبة له فى الحثّ على السعى

لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللّهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة ، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض ، فقد قال تعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الجمعة

٧ — من خطبة له فى الوعظ

أيها الناس انه أتى عليّ حين وأنا أحسب أن من يقرأ القرآن أنه إنما يريد به الله وما عنده . ألا وقد خيِّل إليّ أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند النـاس ، ألا فاريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فانا كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل ، وإذ النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رفع الوحى، وذهب النبى صلوات الله تعالى عليه ، فانما نعرفكم بما أقول لكم

ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً، وأبغضناه عليه

إقدعوا (كفوا) هذه النفوس عن شهواتها فانها طلعة ، فانكم إلا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية

إن هـذا الحق ثقيل مرىء ، وإن الباطل خفيف وبىء ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، وربَّ نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً

٨ — خطبة له فى الوعظ أيضاً

إنما الدنيا أمل مخترم (منتقص) وأجل منتقض ، و بلاغ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله إمرءاً فكر فى أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه

بئس الجار الغنى، يأخذك بما لايعطيك من نفسه ، فان أبيت لم يعذرك إياكم والبطنة ، فانهـا مكسلة للصلاة ، ومفسدة للجسم ، ومؤدية الى السقم ، وعليكم بالقصد فى قوتكم، فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة ، و إن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه

بعض كتبه

١ — كتب الى عامله بالبصرة ينصحه

أما بعد، فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك، وتأمر فينفذ أمرك . فيالها من نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك ، وتطغيك على من دونك ، فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة ، و إياك أن تسقط سقطة لا شَوَى لها (لابقية لها) وتعثر عثرة لالعاً لها (لاأقامه الله)

٢ — كتب الى أبى موسى الأشعرى ينصحه

أما بعد، فان للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعةً من النهار ، وباشر أمور المسلمين ، وافتح بابك لهم ، فانما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملًا

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك، ومركبك، ليس للمسلمين مثلها

فإياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة ، همُّها فى السمن، والسمن حتفها ، واعلم أن للعامل مردًّا إلى الله فاذا زاغ زاغت رعيته ، وأن أشقى الناس من شقيت به رعيته (وأسعد الناس من سعدت به الناس) والسلام

٣ — كتب الى معاوية ينصحه

أما بعد، فانى لم آلك فى كتابى إليك ونفسى خيرا. إياك والاحتجاب دون الناس، وأذن للضعيف وأدنه ، حتى تبسط لسانه ، وتجرئ قلبه وتعهد الغريب ، فانه إذا طال حبسه، وضاق إذنه، ترك حقه، وضعف قلبه . وإنما ترك حقه من حبسه ، وأحرص على الصلح بين الناس ما لم

يستبن لك القضاء ، وإذا حضرك الخصمان بالبينة العادلة والإيمان القاطعة فأمض الحكم

٤ — كتب الى ابنه ينصحه

أما بعد ، فانه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه (أى تصدق على الفقراء) جزاه

فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فانه لا عمل لمن لا نية له (إنما الأعمال بالنيات) ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خلق له

أولاد عمر رضى الله عنه

وأما أولاده رضى الله عنه فثلاثة عشر ولداً : تسعة بنين ، وأربع بنات أما البنون فهم : عبد الله ويكنى أبا عبد الرحمن ، وعبد الرحمن الأكبر شقيقه ، وأمهما زينب بنت مظعون الجمحى

وزيد الأكبر ، وأمه أم كلثوم بنت الامام على كرم الله وجهه

وعاصم ، وأمه جميلة بنت عاصم بن ثابت

وعياض ، وأمه عاتكة بنت زايد

وزيد الأصغر ، وعبيد الله وأمهما مليكة بنت جرول الخزاعية

وعبد الرحمن الأوسط ، وعبد الرحمن الأصغر ، ويكنى أبا شحمة

وهو الذى ضربه عمر فى الحد حتى مات

وأما البنات الأربع فهن : حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛

ورقية وهى شقيقة زيد الأكبر ؛ وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحرث ؛

وزينب أمها فكيهة

والجميع مذكورون بالتفصيل فى كتاب نور الأبصار

كلمة عامة عن عمر بن الخطاب

إن فَخرَ الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فإنما يفخر بعمر بن الخطاب رضى الله عنه، هذا الرجل العظيم الذى كان قبل إسلامه حرباً على الإسلام ، فأصبح بعد إسلامه نعمةً ورحمةً على الإسلام وكان فى شخصيته بالغ الذروة،ظاهر العظمة ، وفى عهد خلافته صاحب فضل كبير جداً فى تثبيت دعائم الاسلام ، وقوته، وانتشاره ؛ ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللّهم أعز الإسلام بعمر »

وكان فى دخوله فى الإسلام ازدياد وقوة للمسلمين ، وكانت له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد أبى بكر الصديق، المواقف الخطيرة ، والآراء الصائبة

ولما ولى الخلافة سار فيها سيراً محموداً ، وتم فى زمنه فتح أقطار الشام، وفلسطين، ومصر ،والعراق، وانتهاء حكم دولتين عظيمتين فى هذه الأقطار ، وهما دولتا الفرس والروم ، وتأسيس الملك العربى الإسلامى تأسيساً حقيقياً . وكانت الخطط التى انتصرت فيها جيوش المسلمين بتدبيره ، وحسن رأيه . ولم يكن عهده قاصراً على الفتوحات ؛ بل بدأ بوضع الأساسات التنظيمية لحسن إدارة البلاد، وتدبير شؤونها ، ويرجع ذلك إلى الصفات السامية التى كان متحلياً بها ،من عزم، وحزم ، وشدة

وحنكة،وحسن تدبير، و إلى الرجال العظام الذين قادوا الجيوش،وولوا إدارة الأقطار، فكانوا أحسن مثال للعزم، والشجاعة، والعدل،والادارة الصالحة أيضاً، كخالد بن الوليد، وأبى عبيدة بن الجراح، وعَمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، والأحنف بن قيس، وأمثالهم

وكان عمر يحب رعيته حباً جماً، ويحب مايصلحها،ويكره ما يفسدها يساسها بسياسة تقربه إلى القلوب، فكان عفيفاً عن أموالهم، عادلاً بينهم، مسوياً بين الناس، لم يكن قوىٌّ يطمع أن يأخذ أكثر مما له، ولا ضعيف يخاف أن يضيع منه ماله

كان رضى الله عنه حكيماً يضع الشىء فى موضعه، يشتد حيناً، ويلين حيناً، حسبما توحى إليه الأحوال التى هو فيها

عرف العرب معرفة تامة،وعرف ما يصلح أنفسها،فسيرها فى الطريق الذى لا تألم فيه، فصيرها أمة حرة لاتستطيع أن تنظر إلى خسف يلحقها من أى إنسان

ولذلك أتعب عمر من بعده،فان النفوس التى تحتمل للعرب ما احتمله عمر قليلة فى الدنيا بأسرها،و إلا فأين ذلك الرجل الذى يفنى فى مصلحة رعيته ؟ ولايرى لنفسه من الحقوق إلا كما لأدناهم، مع تحمله مشقات الحياة وأتعابها

وكان عمر رضى الله عنه متشدداً فى صالح المسلمين ، رءوفا بالرعية متبصراً بحقوقهم ، بعيداً عن كل أبهة وزخرف ، شديداً على عماله ، لا يتساهل فى صغيرة ولا كبيرة، ولا يسمح لأحد من عماله أن يكون مستبداً ، خارجاً عن جادة العدل والحق فى سيرته العامة والخاصة ، عفيفاً عن أموال المسلمين عفةً تامة ، فترك بسيرته وعدله وصفاته أحسن المثل ، وصار علماً من أعلام التاريخ الإسلامى عامة ، والعربى خاصة

ومما يؤثر عنه ، أنه خطب مرة فقال: من رأى فىّ اعوجاجا فليقومه ، فقام إليه أعرابى وقال له : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله على أن وجد من يقوم اعوجاجى

وفى ذلك عبرتان : الأولى ، أن الخليفة يرى حق الرعية فى تقويمه والانتقاد فيما يعمل ، ويمنحها هذا الحق جهاراً ؛ والثانية أن العرب لم يكونوا يعرفون المواربة ، فكان كلامهم صريحاً مملوءاً بالقوة والجراءة

ومن نظر فى سيرة عمر نظر خبير محقق ، رأى أنه كانت فى عمر خلال كريمة ، جعلت الأمة تحبه ، ولا يرى واحد فيها هوادةً فى طاعة أمر كبيرهم قبل صغيرهم ، وأبيهم قبل منقادهم ؛ فقد عرفوا منه قبل كل شىء أنه ضحى بنفسه فى مصلحة أمة ، لا يهمه من أمر نفسه شىء ، إلا أن يكون مع الله فى جميع أموره ، لا يرى لنفسه حقاً أن يتمتع فى هذه الدنيا بأكثر مما يتمتع به أفقر رجل من أمته ، تجد ذلك فى مأكله ومشربه وملبسه

بينما كثير ممن معه قد أقبلت عليهم الدنيا فأخذوا منها حظاً عظيماً

ثم عرفوا منه أنه للعامة قبل الخاصة، لكل هؤلاء إلى مالهم من الحول والحيلة فى هذه الحياة، ويقبل هو على عامة الناس وضعافهم فيقويهم ويسددهم، وينظر فى صغار أمورهم وكبارها، لايبالى ما يصيبه من تعب الجسم فيما هو بسبيله

إن شكا إليه شاك جور عامله، أو إساءة أصابته منه، جمع بينهما فى صعيد واحد، وأنصف ذلك الضعيف الصغير، من ذلك القوى الكبير

لذلك كانت قلوب الأمة معه، عرفوا منه بعد ذلك خلالا شريفة أدبه بها القرآن الكريم، من الحق، والعدل، والأمانة، والصدق، والصبر فى البأساء والضراء، والوفاء بالعهد

وكفاه شرفاً وفخراً قول النبى صلى الله عليه وسلم فيه : إن الله جعل الحق على لسان عمر

كل تلك صفات تحلى بها عمر بن الخطاب فأتعب من بعده

هذا وتاريخ عمر رضى الله عنه حافل بالأمور الجسام، التى جعلته سابقاً على كل من أتى بعده، وجعلت كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشعرون بأن الإسلام فقد بفقده أهم وأثبت أركانه، بدليل أنه جاء عبد الله بن سلام، وقد صلى على عمر يوم وفاته فقال : والله لئن كنتم سبقتمونى بالصلاة عليه، لاتسبقونى بالثناء عليه، فقام عند سريره وقال :

نعم أخو الإسلام ، كنت يا عمر جواداً بالحق، بخيلاً بالباطل، طيب الظرف ، لم تكن مداحاً، ولا مغتاباً؛ ثم جلس ودخل عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو مسجى فقال : رحمة الله عليك ، مامن أحد أحَبُّ إلىّ أن ألقى الله بما فى صحيفته بعد صحبة النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى

وقال سعيد بن زيد : إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة،وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح يوماً ، وهو يذكر عمر : إن مات عمر رق الإسلام ؛ وقال حذيفة : كان الإسلام فى زمن عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلما قتل عمر رحمه الله كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً

وقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، والله إن كان إسلامك لنصراً وإن كانت إمامتك لفتحاً ، والله لقد ملأت إمارتك الأرض عدلا ، ما من اثنين يختصمان إليك إلا إنتهيا إلى قولك

ولم يتنازع فى عدل هذا الرجل العظيم وحسن قصده اثنان ، ولا تزال كُتَّاب الفرنجة يقرون بفضله وعدله (والفضل ما شهدت به الأعداء) وقد قام بهذا من غير شهوة ، أو منفعة ذاتية ، أو لذة دنيوية ، إنما قام به جميعاً لله ، وللحق ، وللإسلام فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً

٣ — عثمان بن عفان رضي الله عنه

نسبه — هو عثمان بن عفان ، بن أبى العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف ، بن قصىّ ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، ابن لؤى ، بن غالب القرشى الأموى ، ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده الخامس عبد مناف . وأمه (أروى) بنت كريز ، بن ربيعة ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف ، وأمها البيضاء أم حكيم ، بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كنيته — ويكنى أبا عبد الله ، وأبا عَمرو ، كنيتان مشهورتان له وأبو عمرو أشهرهما

مولده — ولد فى السنة السادسة بعدعام الفيل،من ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان من السابقين الأولين فى الإسلام ، وأول المهاجرين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة

وفى مولده ونسبه قال الشاعر الشيخ اسماعيل سرى الدهشان :

« من بعد ست لعام الفيل قد وضعت
عثمان (أروى) فيا أهلاً بعثمان »

« حَسبى أبا عمرو ماز كاك من نسب
فأنتَ والمصطفى من نسل عَدنان »

« فى ظَهر عبد مناف أنتما غيب
وبالشهادة فى الإسلام إلفان »

« فضل لأروى أبوها من قُصىّ أتى
وأمها عمة المختار فضلان »

نشأته ، وصناعته ، ومكانته فى قومه

كان سيدنا عثمان رضى الله عنه تاجراً بزازاً ، موفقاً فى تجارته ، فاتسعت ثروته ، وكثر ماله ، وكان غنياً كريماً ، حسن الشيمة ، شبّ على كرم الأخلاق ، وحسن السيرة ، حيّاً عفيفاً ، ولذا كان محبباً فى قومه ، مأموناً عندهم ، محترماً لديهم ، مبجلاً فيهم

وفى حرفته ، ومنزلته فى قريش قال الشاعر الدهشان :

« لكَ التلاد عن الآباء خالِصةً فسرتَ تتجر من نجد لحوران »
« والمرء إن باركَ الرزاق سلعته فلاتبابَ [1] ولاعَوْد بخسران »
« تجارة فى قريش شأنها عجب وأنتَ فيهم عداها باذخ [2] الشان »
« ترعى الجوارَ وتقرِى الضيف عن كرم يُثرى المُقل وَيكسو كلّ عريان »
« مذلَّل السمع للعافى تعاونه ممهد القلب تأوى كل لهفان »

---

(١) تباب : هلاك وخسران (٢) باذخ : عظيم شأنه

« قد أغرموا بك حباً إذ رأفت بهم والحب يجذب لم يجذب باشطان[١] »

« يُعظمونك لاخوفاً وقد وردوا هيماً[٢] فأصدرتهم ربى[٣] بإحسان »

« فكل بذل قليل فى محبتهم إياك والحب لايشرى بأثمان »

« فى الجاهلية لما تلتمس قدحا وفى التحنف لاحاس[٤] ولازانى »

« فيك الحياء ترد الطرف هيبته من الجلال ونور الوجه ربّانى »

إسلامه، وصحبته لرسول الله ﷺ

لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً ، كان سيدنا عثمان رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وزوجه عليه السلام بنته (السيدة رقية)

فلما آذى المشركون المسلمين،هاجر رضى الله عنه مع زوجه الى بلاد الحبشة ، فكان أول من هاجر

روى أنس قال : أول من هاجر الى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله، ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط

ثم رجع الى مكة قبل الهجرة النبوية الى المدينة

(١) باشطان : بالتباعد عن الحق (٢) هيما : حباً

(٣) ربى : النعمة (٤) حاس القوم : وطئهم وأهانهم

فلما أذن الله له بها ، هاجر اليها هو وزوجه ، وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غزواته ومشاهده ؛ ولكنه لم يحضر غزوة (بدر) لأنه كان مشغولاً بتمريض زوجه (السيدة رقية) التي توفيت فى تلك المدة عقب انتصار المسلمين فى تلك الغزوة ، وأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنيمتها ، ثم زوجه بنته الثانية (السيدة أم كلثوم) وتلك منقبة عظيمة لم تعرف لغيره من الناس قاطبةً ، ولذا سمى عثمان (بذى النورين) رضى الله عنه

وكان سخى اليد بماله الوفير ، جواداً فى طاعة الله ، وإعلاء شأن الإسلام

وفى إسلامه رضى الله عنه يقول الشاعر الدهشان :

« بدعوة من أبى بكر عقدت على ... حب الحنيفية العظمى بإذعان »
« صحبت طلحة فى طه تبايعه ... مع الزبير بتصديق وإيمان »
« فقبضة من رسول الله كان بها ... بسط لكم ونبذتم دين أوثان »
« وعمك الحكم العادى عليك بما ... أتيت من ترك أصنام بديان »
« يهوى رجوعك للعزى فحدت وقد ... عصيته رغم كيد أى عصيان »
« فالسابقون الحواريون أنت ومن ... صحبت عشرة أشياخ وفتيان »

هجرته الأولى من أذى قريش

«من ذا يوازيك (ذا النورين) منزلة من أهل أحمد إلّا صهره الثانى»
«أيدته الجهد فى دعواه محتملا أذى قريش بتسليم وتكلان»
«وحين خفت عداء القوم إذ فجروا واستهدفوك لأحقاد وأضغان»
«هَجرتَ مكة مع بنت النبى الى أرض النجاشى لم تذعن لكفران»
«لما تحملتما طٰه دعا لكما فعدتما حين لا كيد لإنسان»
«وفى صباح الهدٰى حمد السرى ولقد يُنسى الأسى الطيب الرجعى لأوطان»
«وقال أحمد فى زوجيك إذ قضتا لو أن ثالثة لى يا ابن عفان»

مبايعته بالخلافة

بعد وفاة سيدنا عمر بثلاث ليال كان الناس يجتمعون فى تلك الأيام الى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه ، فلا يخلو به رجل ذو رأى فيعدل بعثمان أحداً . ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة وعليه عمامته التى عمَّمه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه ، ثم صعد المنبر ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

أيها الناس إنى سألتكم سرًّا وجهراً عن إمامكم ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين : إما على ، وإما عثمان ، وقال لعلى : قم يا على .

فقام علي، فوقف تحت المنبر، وأخذ عبد الرحمن بن عوف بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه، وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال علي: اللّهم لا؛ ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، فأرسل يده. ثم نادى: قُم يا عثمان. فقام، فأخذ بيده وقال: أبايعك، فهل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر؟. فقال عثمان: اللهم نعم. فرفع رأسه الى سقف المسجد وقال:

اللَّهم اسمع، قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان. فازدحم الناس يبايعون عثمان، وقعد عبد الرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، وقعد عثمان في الدرجة الثانية تحته، فجعل الناس يبايعونه بالخلافة، وذلك في مفتتح سنة ٢٤ هـ وكان سنه فوق السبعين، وسار فيها بالعدل والانصاف كما سيأتي ذكره

وفي مصير الخلافة اليه بالشورى يقول الشاعر:

«قد يَمم الصحب والأنصار أفضلهم ... دار بن مُخرمة والصحب قسمان»

«وباجتهاد ابن عوف بز قسمِك إذ ... سعى ثلاث ليال سَعى كتمان»

«محض اجتهاد فلا ميلٌ ولا عنت ... ولا مراعاة أفخاذ وبطنان»

«وما الخلافة إلَّا حولها فتنٌ ... والملك لله لا يبقى لإنسان»

«ما الملك في الأرض للملَّاك غير مُنى ... تمر كالطيف في أوهام وسنان»

« لو شاءها المصطفى فى بيته أبداً   لكان سعىُ علىٍّ قبل عثمان »
« ضلَّ الخوارج ثم الشيعة التحذت   كلاهما كان فى زيغ وطُغيان »
« إلَّا رجالاً هداهم ربهم رشداً   أولاء للحق كانوا خير أعوان »

بدء أعماله فى الخلافة

ومن أعماله أنه ولى سعيد بن العاص (الكوفة) وأمره بفتح بقية بلاد العجم ، ووالاه بالإمدادات حتى فتحها وشتت جيوشها ، وقتل الأحنف قائد جيش المسلمين ملكها (يزدجرد) وبقتله انتهت دولة الفرس ، واستجاب الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام حين مزق كسرى كتابه وهى : (اللهم مزق ملكه كل ممزق)

وبذلك استتب الإسلام فى تلك البقاع ؛ ثم أمر الجيش بالمسير الى (أرمينية) ففتحها أيضاً

ومن أعماله أنه أمر سيدنا معاوية عامله على الشام بانشاء سفن قوية عظيمة، لتحمل جيوش المسلمين الى ماتريد من الجهات، فكان ماأمره . وبها تمكن من فتح جزائر البحر الأبيض المتوسط كقبرص ، وكريد ، ورودس ، وغيرها

ومن أعماله أنه أمر عبد الله بن أبى السرح الذى ولّاه على مصر بفتح طرابلس،وافريقية، فسيَّر لها جيشاً تحت قيادة (الزبير بن العوام)

ففتحها، وغنم منها أموالا كثيرة. وبذلك صارت مملكة العرب من جهة الشرق الى الهند، ومن جهة الغرب الى المحيط الأطلسى، ومن جهة الشمال الى البحر الأبيض المتوسط، ومن جهة الجنوب الى بحر الهند والنوبة

وباتصال تلك القرى بعضها ببعض عظمت الدولة، ونمت الثروة، ونفذت الكلمة، وتجسمت الهيبة فى قلوب الأعداء

ومن مآثره الجميلة ترتيب الطعام فى شهر رمضان لأهل المدينة، وإقامة دور للضيافات فى الكوفة

ومن مآثره إقطاعه الأرضين التى جلا أهلها عنها للعرب، لكى يقيموا فيها، ويعمروها ضناً بها أن تهمل، وتخسر ثمرتها الدولة والناس

ومن مآثره اتخاذ دار القضاء بعد أن كان يقام فى المسجد

ومن أعظم آثاره (رضى الله عنه وجزاه عن المسلمين خير الجزاء) أنه رتب السُّوَر القرآنية على النمط المعروف، الذى تقرؤه الآن باجماع من الصحابة والحفاظ، وجمع الصحف التى كانت عند حفصة فى مصحف واحد، وجمع الناس على مصحف واحد، بعد أن تعددت القراآت واختلف فيها أهل الأمصار، وأمر بنسخ المصاحف منه، فكتبوا أربعة وقيل خمسة، وأرسل لكل قطر مصحفاً، وصار العمل على ذلك الى الآن، وهو ما يسمى (بالمصحف العثمانى) نسبة اليه رضى الله عنه

وفى بدء أعماله فى الخلافة يقول الشاعر :

« ياواحد الستة الموصى بهم عمر والباذل النفس فى مرضاة رحمان »
« لما استقر اليك الملك وانفسحت لك المسافة فى عزٍّ وسلطان »
« زدت العطايا ووفدت الوفود الى دار الخلافة من أشتات بلدان »
« وقمت فيهم خطيباً مُلقياً حِكما طالت على قول لُقمان وسَحبان »
« بعثت بالكتب للأمصار حاملة هدياً لعمالها فى حُسن تبيان »
« فاستحكموا العدل فى الذمى واثلجت صدور أولاء من هود ونصرانى »
« فشدت للحق صرحاً غير جانبه فى كل مصر فنعم الشائد البانى »
« وخير ماجدت للإسلام من أثر ماقد سبقت به من جمع قرآن »
« ثم التفت الى الأمصار تلفتها لوجه ربك عن تأليه أوثان »

صفات سيدنا عثمان الخَلقية

كان أبيض اللون ، وقيل أسمر ، رقيق البشرة ، كثير شعر الرأس ، عظيم اللحية ، وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، حسن الوجه ، ضخم الكراديس (جمع كردوسة وهى كل عظم تكردس اللحم عليه) بعيد مابين المنكبين ، وكان يصفر لحيته ، ويشد أسنانه بالذهب

عن عبد الله بن حزم المازنى قال :

رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه

وكان نقش خاتمه : آمنت بالله مخلصاً

وقيل : آمنت بالذى خلق فسوى

صفاته الخُلقية ومناقبه

١ — أدبه مع نفسه ، ومع الرسول ﷺ

أخرج ابن عساكر عن ابن عيينة أنه قال : قال عثمان بن عفان : ماتغنيت ، ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام ، ولا مَسست فرجى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

« وقوله : ولا مَسست الخ غاية فى الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والاحترام ليده الشريفة التى مسَّ بها يده »

ليس بعجيب صدوره عن عثمان بن عفان ، مع ماعرف به من حبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه له ، وبذل ماله فى سبيل مرضاته ، فرضى الله عنه وأرضاه

٢ — تأديبه لنفسه

قيل : كان لعثمان عبد فقال له : إني كنت عركت أذنك فاقتص مني ، فأخذ بأذنه ، ثم قال عثمان : أُشدد ، ياحبذا قصاص فى الدنيا ، لاقصاص فى الآخرة

وهذه مكانة من كرم الأخلاق ، وخفض الجناح والتقوى ، و إعطاء الحق ، لايبلغها إلَّا أولئك الصحابة الكرام ، الذين تخلقوا بخلق نبيهم عليه الصلاة والسلام

٣ — تأديبه للمسلمين

قيل : ان رجلا من ثقيف جُلد فى الشراب فى خلافة عثمان بن عفان ، وكان لذلك الرجل مكان من عثمان ، ومجلس فى خلوته ، فلما جُلد أراد ذلك المجلس فمنعه إياه ، وقال :

لاتعود الى مجلسك أبداً إلَّا ومعنا ثالث

واختصم عثمان هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، فقال أبو عبيدة : ياعثمان، تخرج على فى الكلام ، وأنا أفضل منك بثلاث . فقال عثمان : وما هى ؟ قال : الأولى إنى كنت يوم البيعة حاضراً وأنت غائب ،

والثانية شهدت بدراً ولم تشهده ، والثالثة كنتُ ممن ثبت يوم أحد ، ولم تثبت أنت

فقال عثمان : صدقت ، أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى فى حاجة ومدَّ يده عنى ، وقال : هذه يد عثمان بن عفان ، وكانت يده الشريفة خيراً من يدى ؛ وأما يوم بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ، ولم يمكننى مخالفته ، وكانت ابنته (رقية) مريضة ، فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها

وأما انهزامى يوم أحد ، فان الله عفا عنى ، وأضاف فعلى الى الشيطان ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ آل عمران

فغلبه عثمان بهـذه الأجوبة السديدة

٤ — كرمه وبذله العظيم فى سبيل الله ورسوله

١ — يروى أنه لمـا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربة الروم فى غزوة (تبوك) بين المدينة والشام ، كان المسلمون فى عسر وضيق ،

قد أجهدهم الحر ، ولذلك سمى جيشها (جيش العسرة) فظهر كرم عثمان ، وتبرع رضى الله عنه بتجهيز غالبه من ماله ، فجهز ألف بعير وسبعين فرسا ، وصرف عشرة آلاف دينار ، فدعا له الرسول وقال : لايضر عثمان ماعمل بعدها ، وتبرع أيضاً أبو بكر وعمر بما قدرا عليه

٢ — وكانت توجد بئر بالمدينة تسمى (بئر رومة) لرجل يهودى من بنى غفار لايصلح للشرب غير مائها ، ولذا كان صاحبها يبيع منها القربة بمُد (١) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم بعينها عين فى الجنة ، فأبى لأنه لم يكن له غيرها ، ولم يكن أسلم وقتئذ ، فاشتراها منه سيدنا عثمان بعشرين ألف درهم ، ووقفها على المسلمين ، وكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم ، وقدقال عليه السلام (من حفر بئر رومة فله الجنة)

وزاد عثمان فى مسجد المدينة بالحجارة ووسعه ، وكان يعتق فى كل جمعة عبداً

وبالجملة فقد كان عثمان رضى الله عنه جليل الأعمال ، كريم الخصال ، جميل الصحبة ، حريصاً على رضا النبى صلى الله عليه وسلم ، بذولاً للمال فيما يرضيه وينفع المسلمين

لهذا أجل النبى صلى الله عليه وسلم قدره ، ونوه بذكره فى أحاديث

---

(١) المد « مكيال ، وهو رطلان عند أهل العراق ، ورطل وثلث عند أهل الحجاز ، وفى الشام صاع ونصف »

كثيرة سيأتى ذكر بعضها ، وفى انفاقه فى سبيل الدين يقول الشاعر :

« يَسَّرت للعسرة الشعواء غزوتها بالخيل والعير فيها كل قرحان »

« وجئتَ بالمال فى حجر النبى ولم تكن على الملة الكبرى بمنَّان »

« ومن يعن ملة الإسلام فى حرج يَكن له الله حسباً خيرَ معوان »

« وبئر رومة قد خلَّصتَ ركوتها من اليهودى تُسقى كل ظمآن »

« وكان هذا يبيع الماء من طمع للمسلمين بمقدار وميزان »

« فكان أجرك والمختار ضامنه عيناً من الماء فى جنات رضوان »

« وزدت فى مسجد المبعوث متخذاً بديل هذا بعدن خير بنيان »

« كأن مالك مال المسلمين متى شاءوا فلست على شىء بخزان »

« فكنت عند رسول الله ناصره يحلك العرب من قاصٍ ومن دان »

٥ — مثال من تصدقه ، وحبه لفعل الخير

أصاب الناس قحط فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما اشتد بهم الأمر جاءوا الى أبى بكر وقالوا : ياخليفة رسول الله إن السماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع ؟ فقال لهم : انصرفوا ، واصبروا ، فانى أرجو الله أن لاتمسوا حتى يفرج الله عنكم

فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان جاءت من الشام وتصبح بالمدينة . فلما جاءت خرج الناس يتلقونها ، فاذا هى الف بعير موسوقة بُرًّا ، وزيتاً ، وزبيباً ، فأناخت بباب عثمان رضى الله عنه ، فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : انك لتعلم مانريد،بعنا من هذا الذى وصل اليك ، فانك تعلم ضرورة الناس. قال : حباً وكرامةً ، كم تربحونى على شرائى ؟ قالوا : الدرهم درهمين . قال : أعطيت أكثر من هذا

قالوا : يا أبا عَمرو ما بقى فى المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا أحد ، فمن ذا الذى أعطاك ؟

قال : ان الله أعطانى بكل درهم عشرة ، أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا

قال : فانى أشهد الله أنى جعلت ماحملت هذه البعير صدقةً لله على المساكين والفقراء

٦ — سياسته فى رعيته

كان عثمان رضى الله عنه لين الجانب ، رءوف القلب ، محسناً الى الرعية ، فكان إحسانه اليهم ، ولينه معهم ، سبب إساءتهم اليه ، وافتراقهم فى مذاهب الاختلاف عنه ، والدليل على ذلك ماقاله ابن عساكر فى تاريخه :

لما ولى عثمان حجّ سنواته كلها الى آخر حجة حجها ، وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم معه كما كان يصنع عمر ، فكان عبد الرحمن ابن عوف فى موضعه ، وجعل فى موضع نفسه سعيد بن زيد ، هذا فى مؤخر القطار ، وهذا فى مقدمته ، وأمر الناس ، فكتب فى الأمصار أن توافيه العمال فى كل موسم ، ومن يشكوهم ، وكتب الى الناس والأمصار : أن ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه ، فإنى مع الضعيف على القوى ، مادام مظلوماً ، إن شاء الله

فكان الناس كذلك ، فجر ذلك الى أن اتخذه أقوام وسيلة الى تفريق الأمة (أى بحجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

وجرّت هذه السياسة ، سياسة اللين ، والرأفة ، والعدل ، على عثمان الخطر والبلاء ، والفتن ، والجرأة على الخروج على الخليفة ، وضرًّا بالخلافة

٧ — عدله

روى أن عثمان رضى الله عنه اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه ، فقال : مامنعك من قبض مالك ؟ قال : إنك غبنتنى ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومنى

قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم . قال : فاختر بين أرضك ومالك ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريًا أو بائعًا وقاضيًا مقتضياً »

٨ — تفقده لحال رعيته

روى أن سيدنا عثمان كان يخرج يوم الجمعة وعليه ثوبان أصفران ، فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذن ، وهو يتحدث يسأل الناس عن أسفارهم ، وعن أخبارهم ، وعن مرضاهم ، وهذا يدل على أنه كان دائم التفقد لحال الرعية والسؤال عنهم

٩ — تواضعه

كانت أخلاق سيدنا عثمان رضى الله عنه كلها فضائل ، اتشح بردائها، وأخذ نفسه بها ، فهو من المكانة العليا من الأخلاق البارزة ، والشيم الجميلة ، وأخصها التقوى والكرم ، والحياء ، والتواضع ، فمما جاء من أخبار تواضعه ما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه عن الحسن قال :

رأيت عثمان نائماً فى المسجد ، ورداؤه تحت رأسه ، فيجىء الرجل فيجلس اليه ، ثم يجىء الرجل فيجلس اليه ، ويجىء الرجل فيجلس اليه كأنه أحدهم

وروى عن الحسن أيضًا : أنه سُئل عن القائلة فى المسجد ، فقال : رأيت عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة يقيل فى المسجد ، ويقوم

وأثر الحصا بجنبيه ، فقيل : هذا أمير المؤمنين ، هذا أمير المؤمنين

وروى أن عثمان كان يلى وضوء الليل بنفسه ، فقيل له : لو أمرت بعض الخدم فيكفيك . قال : لا . الليل لهم يستريحون فيه

وعن الزبير بن عبد الله قال : حدثتنى جدتى أن عثمان كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام فى الليل إلا أن يجده يقظان ، فيدعوه فيناوله الوضوء ، وكان يصوم الدهر

١٠ — حياؤه

كان عثمان رضى الله عنه مشهوراً بشدة الحياء ، وهو خلق جميل ، وأدب نفسى يزيد المرء رفعةً إذا توسطه ولم يفرط فيه

ومما جاء من أخباره فى الحياء ، مارواه ابن عساكر قال :

ذكر عند الحسن حياء عثمان، فقال الحسن : إن كان ليكون جوف البيت ـ والباب عليه مغلق ـ فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه»

١١ — كرمه وجوده

كان عثمان رضى الله عنه أكرم الناس ، ولم ينحصر كرمه فى ذوى قرابته ، بل تعداه الى غيرهم أيضًا

ومما يروى عن كرمه ، ما أخرجه ابن عساكر عن ابن سعيد قال : انطلقت وأنا غلام فى الظهيرة ومعى طير أرسله من المسجد والمسجد بيننا ، فاذا شيخ جميل حسن الوجه نائم وتحت رأسه لبنة (طوبة) أو بعض لبنة ، فقمت أنظر اليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : مَن أنت ياغلام ؟ فأخبرته . فنادى غلاماً قريباً منه ، فقال لى : ادعُه فدعوته فأمره بشىء وقال : اقعد

قال : فذهب الغلام فجاء بحُلة ، وجاء بألف درهم ، فنزع ثوبى وألبسنى الُحلة ، وجعل الألف الدرهم فيها ، فرجعت الى أبى ، فأخبرته ، فقال : يابنى من فعل هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، إلا أنه رجل فى المسجد نائم ، لم أر قط أحسن منه . قال : ذلك أمير المؤمنين عثمان

وروى ابن عساكر عن أبى اسحٰق السراج قال : قال لى أبو اسحٰق القرشى يوماً : مَن أكرم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت عثمان بن عفان . قال : كيف رفعت عثمان من بين الناس ؟ قلت : لأنى رأيت الكرم فى شيئين : فى المال، والروح ، فوجدت عثمان جاد بماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاد بروحه على أقاربه

قال : لله درك

وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً ، فقال له يوماً : قد تهيأ مالك فاقبضه ، قال عثمان : هو لك معونة على مُروءتك

١٢ — هديته للنبي ﷺ

توجه سيدنا عثمان الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عنه ، فوجده خرج فى طلب الرزق ، فذهب عثمان ، و بعث لهم دقيقاً وتمراً وغيره ، وكان العرب يعتمدون كثيراً على الغـذاء من التمر (البلح الجاف) ؛ ثم رجع سيدنا عثمان ، وقال لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : هذا يبطىء عليكم ، فأرسل لهم خبزاً ، ولحماً مشوياً

فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلم بمـا فعله عثمان رضى الله عنه ، دعا له بخير ، وما فعله عثمان مع النبي صلى الله عليـه وسلم يعتبر هديةً ، لاصدقةً

١٣ — صلاحه وتقواه

كان سـيدنا عثمان رضى الله عنه كثير التقوى والقنوت ، كثير الصلاة ، كثير قراءة القرآن ، شديد الولع به ، والاستظهار له

روى ابن عساكر ، وأخرج عن إسرائيل بن موسى ، قال : سمعت الحسن يقول : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، لو أن قلوبنا طهرت ، ماشبعنا من كلام ربنا ، إنى أكره أن يأتى علىَّ يوم لا أنظر فى المصحف

وروى ابن عساكر من طرق كثيرة ، أن عثمان كثيراً مارُؤى فى المقام يصلى من أول الليل الى بزوغ الفجر

الأحاديث الواردة فى فضله

أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة ؟ »

وأخرج البخارى عن أبى عبدالرحمن السلمى أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم ، فقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلّا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهَّز جيش العسرة فله الجنة ؟ فجهزتهم

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها . فصدقوه بما قال

وأخرج الترمذى عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال :

جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة « وهو جيش غزوة (تبوك) وسمى بذلك لأنه ندب الناس الى الغزو فى شدة القيظ فعسر ذلك عليهم » فنثرها فى حجره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها و يقول : ماضرَّ عثمان ماعمل بعد اليوم (قالها مرتين)

وأخرج الترُمذى، عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل مكة ، فبايع الناس، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان عثمان بن عفان فى حاجة الله ، وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم

وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان : لو أن لى أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة ، حتى لايبقى منهن واحدة

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مرّ بى عثمان ، وعندى ملك من الملائكة ، فقال: شهيد يقتله قومه إنا نستحيى منه

وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الملائكة لتستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله »

نبذ من كتبه

١ — كتب الى أمراء الجنود فى الثغور

أما بعد ، فانكم حماةُ المسلمين وذادتهم (المدافعون عنهم) وقد وضع لكم عمر مالم يغب عنا، بل كان عن ملإٍ منًّا . ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله مابكم ، ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فانى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه

٢ — كتب الى عمال الخراج

أما بعد ، فان الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل إلَّا الحقّ ، خذوا الحق ، وأعطوا الحق ، والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم ، والوفاء الوفاء ، لاتظلموا اليتيم ، ولا المعاهد ، فان الله خصم لمن ظلمهم

٣ — كتب الى العامة

أما بعد، فانكم إنما بلغتم مابلغتم بالاقتداء والاتّباع ، فلا تلفتنّكم الدنيا عن أمركم ، فان أمر هذه الدنيا صائر الى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب

والأعاجم القرآن ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الكفر في العجمة ، فان استعجم عليهم أمر تكلَّفوا وابتدعوا

٤ ــ وكتب الى عماله أيضاً

أما بعد ، استعينوا على الناس ، وكلّ ما ينو بكم بالصبر والصلاة ، وأمرَ الله أقيموه ، ولا تدهنوا فيه ، و إياكم والعجلة فيما سوى ذلك ، وارضوا من الشرّ بأيسره ، فان قليل الشر كثير ، واعلموا أن الذى ألف بين القلوب هو الذى يفرقها ، ويباعد بعضها من بعض ، سيروا سيرة قوم يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حجة (ابن عساكر)

٥ – وكتب اليهم أيضاً

إن الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ الأنفال وهو مفرقها على معصيته ، ولا تعجلوا على أحد بحدٍ قبل استيجابه ، فان الله تعالى قال :

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ الغاشية

من كفر داويناه بدوائه ، ومن تولى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى يقطع حجته وعذره إن شاء الله (ابن عساكر)

نبذ من خطبه

١ — خطبته بعد ما بويع الخلافة

صعد المنبر وخطب الناس فقال : أيها الناس ، الحمد لله ، اتقوا الله فإن الدنيا كما أخبر الله لعب، ولهو، وتفاخر بينكم ، وتكاثر فى الأموال والأولاد ، فخير البلاد فيها من عصم واعتصم بالله وكتابه

وقد وكلت من أمركم لعظيم ، لا أرجو العون عليه إلّا من الله ، فإنه لايوفق للخير إلّا هو ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب

٢ — أول خطبة خطبها

أما بعد ، فانى قد حُملتُ ، وقد قبلت ، ألا وانى متبع ، ولست بمبتدع ، ألا وان لكم علىّ بعد كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتباعَ من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسنّ سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملإٍ ؛ والكفّ عنكم إلّا فيما استوجبتم ، ألا وإن الدنيا خَضرة قد شُهيت الى الناس، ومال اليها كثير منهم ، فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها ، فانها ليست بثقةٍ ، واعلموا أنها غير تاركةٍ إلّا من تركها

٣ — من خطبة له

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس ، اتقوا الله ، فان تقوى الله غُنم ، وانَّ أ كيسَ الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، وا كتسب من نور الله ، نوراً لظُلمة القبور ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يكفى الحكيم جوامع الكلام ، والأصم ينادى من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئاً ، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده (ابن عساكر)

٤ — وخطب مرة فقال :

إن الناس يبلغنى عنهم هنات وهنات (شرور وفساد) وإنى والله لا أكون أول من فتح بابها ، ولا أدار رحاها ، ألَا وإنى زامٌّ نفسى بزمام ، ومُلجمها بلجام ، فأقودها بزمامها وأ كبحها (أمنعها) بلجامها ، ومناولكم طرف الحبل ، فمن اتبعنى حملته على الأمر الذى يعرف ، ومن لم يتبعنى ففى الله خلف منه ، وعزاء عنه

ألَا وان لكل نفس يوم القيامة سائقًا وشاهداً ، سائق يسوقها على

أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بعملها ، فمن كان يريد الله بشيء فليُبشر ، ومن كان آثما يريد الدنيا فقد خسر (ابن عساكر)

٥ — آخر خطبة له

أما بعد ، إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يُعطكموها لتركنوا اليها ، إن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى ، فلا تُبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا مايبقى على مايفنى ، فان الدنيا منقطعة ، وأن المصير إلى الله

اتقوا الله عز وجل ، فان تقواه جُنَّة (وقاية) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لاتصيروا أحزابًا

﴿ واذْكُرُوا نعمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ آل عمران

ومن كلامه

مايَزَع الله بالسلطانِ أكثر مما يزع بالقرآن

الهدية من العامل إذا عزل ، مثلها منه إذا عمل

أنتم الى إمام فعَّال ، أحوج منكم إلى إمام قوَّال

وقال يوم قتل : لأن أقتل قبل الدماء أحبُّ الى من أن أقتل بعد الدماء

وفاته ، وسبب مقتله رضى الله عنه

بعد أن فتح المسلمون تلك الأقاليم ، واطمأنوا وكثرت عندهم الخيرات والأموال ، أخذوا ينقمون على الخليفة ، حيث رأى من الصالح للأمة عزل بعض الولاة فعزلهم ، وولى من فيه الكفاية من أقاربه وذوى رحمه ، فظنَّ الناس به ظنوناً هو برىء منها ، وفشت الفتنة واستفحل أمرها ، حتى حضرت وفود من الكوفة ، والبصرة ومصر ، فى وقت واحد ، طالبين تولية غير عثمان ، أو عزل من ولاهم على الأمصار

وأخيراً استقر الحال على إجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العمال

وعلى ذلك اختار أهل مصر أن يولى عليهم (محمد بن أبى بكر الصديق) فكتب عثمان لهم بذلك عهداً ، ورحلوا من المدينة مع واليهم الجديد

و بينما هم ذاهبون رأوا عبداً من عبيد الخليفة على راحلة من إبله يستحثها فأوقفوه وفتشوه ، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة لعبدالله ابن أبى السرح مضمونه :

(إذا قدم عليك ابن أبى بكر ومن معه فاحتل فى قتلهم)

فأخذوا الكتاب ، ورجعوا الى المدينة ، وأطلعوا الخليفة عليه ،

فأقسم لهم إنه مافعل ولا أمر ولا علم، فقالوا : هذا أشد، يؤخذ خاتمك ، و بعير من إبلك ، وعبد من عبيدك، وأنت لاتعلم ، ما أنت إلَّا مغلوب على أمرك ، فطلبوا منه الاعتزال ، أو تسليم الكاتب ، فأبى ، فأجمعوا على محاصرته ، فحاصروه فى داره، ومنعوا عنه الزاد والماء أياماً عديدة، وهاجت الثوار ، وكثر القيل والقال ، فطلب منه بعض الصحابة الاذن بالمدافعة عنه ، فلم يقبل ، ولم يأذن لأحد ، حتى أنه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه : (من أغمد منكم سيفه فهو حرّ) !ستسلاماً للقضاء ، فتسلق بعض الأشرار الدار ، ودخلوا عليه وقتلوه ، والمصحف بين يديه يتلو فيه سورة البقرة فنزلت قطرة من دمه على « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ » وكان يومئذ صائماً

وكان ذلك فى الثانى عشر من ذى الحجة سنة ٣٥ هجرية ، وعمره ٨٢ سنة ، ومدة خلافته ثلاث عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً رضى الله عنه

وفى الفتنة يقول الشاعر :

« وحين تم صفاء الدهر واأسفا أتى الزمان بتكدير ونقصان »
« جنى عليك جناة ساء ظنهم فجاءمن مصر أشياع ابن حمران »
« والكوفة انتقضت والبصرة افتتنت بمثل بشر وأتباع ابن صوحان »
« وابن اليهودية السوداء مفسدهم بدعوة زينت فى شر آذان »
« فيمَّموا البيت والشيطان قائدهم فما رأوا ناصراً من أى عدنانى »

« لكنهم فى جماعات وفى عدد والشر محتدم فى كل وجدان »

« عدّوا عليك أموراً فاعتذرت لهم والعذر لم يجد فى ثورات ضمان »

« فأنت والشعب قد ثارت خشارته[1] كطالب النور من أبصار عميان »

« هل ينفع العذر والعتبى وقد حزنت جند العراق عن الرجعى ونجران »

الحصار

« فحاصروك وكفّوا الماء عنك عسى ترضى البراءة من أعباء سلطان »

« فكدت ترضى ولكن أين ذلك من شيخ على سمعه بالرأى ضدان »

« دسوا عليك كتاباً لست كاتبه أهاج مصر ومنه هاج مصران »

« فجد جد حصار القوم فى خطر وأفلت الأمر من أهل وأخدان »

« وكان ممن وقاك القوم أربعة بباب دارك قاموا خوف غشيان »

« محمد ثم عبد الله يسبقه حول الخليفة للذود الحسينان »

« أبعد ذلك من يرمى أمانتهم ألَا لقد ضل راميهم بخذلان »

القتل

« تسلقوا الدار من خلف وما حفظوا

عهداً فجادلتهم فى كل برهان »

---

(١) الخشارة (الردىء من كل شىء)

« وما ائتمرت بأمر الخلع فاتقدت
أحقادهم فرماها شر طعان »
« شلَّت يداك أيا ابن الحمق كيف ترى
ومن رميت صريعاً أيها الجانى ؟ »
« الدين والحلم والتقوى فتكت بها
والله لم ينتطح فى ذاك كبشان »
« دَم الشهيد خزاك الله كيف جرى
على يديك أما تحنو على الحانى ؟ »
« أَثكلت ملة إبراهيم عن سفه
وأصبح الصحب فى نوح وأحزان »

أولاد سيدنا عثمان رضى الله عنه

أولاد سيدنا عثمان رضى الله عنه ستة عشر : تسعة ذكور ، وسبع بنات ، وهى مذكورة فى كتاب نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ، وفى كتاب أشهر مشاهير الإسلام ، نكتفى بالإشارة اليها

أولياته

أول من أقطع القطائع — وأول من حمى الحمى — وأول من خفض

صوته بالتكبير ـ وأول من خلّق (نقش) المسجد وطلاه ـ وأول من أمر بالأذان الأول فى الجمعة ـ وأول من رزق المؤذنين ـ وأول من أرتج عليه من الخلفاء فى الخطبة ـ وأول من قدم الخطبة فى العيد على الصلاة ـ وأول من فوض الى الناس إخراج زكاتهم ـ وأول من ولى الخلافة فى حياة أمه ـ وأول من اتخذ صاحب شرطة ـ وأول من اتخذ فى الإسلام داراً للقضاء ، وقد كان الخليفتان قبله يجلسان للقضاء فى المسجد ـ وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد ـ وأول ماوقع الاختلاف فى زمانه بين الأمة فخطأ بعضهم بعضاً فى أشياء نقموها عليه ، وكانوا قبل ذلك يختلفون فى الفقه ولا يخطىء بعضهم بعضاً ـ وأول من هاجر الى الله بأهله من هذه الأمة ـ وأول من جمع الناس على حرف واحد فى القراءة

وصيته

لما قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فتشوا خزائنه ، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ، ففتحوه ، فوجدوا فيه حقة ، فيها ورقة مكتوب فيها :

«هذه وصية عثمان بن عفان : يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث مَن فى القبور ، ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين»

كلمة مختصرة عن عثمان بن عفان

إن سيدنا عثمان بن عفان كان من السابقين الأولين فى الإسلام ، تحمل الأذى ، وبذل الأموال الكثيرة فى سبيل الدعوة الى الدين

وكان أكثر ليناً وتسامحاً من عمر بن الخطاب ، فكان ذلك سبباً من أسباب اتساع الفتنة المشئومة ، فقد غلبه على أمره أقاربه ، وبنوع خاص (مروان بن الحكم) فكان ذلك باعثاً على الانتقادات والتقولات ؛ ومثبّطاً لبعض كبار الصحابة عن مؤازرته والدفاع عنه

ومما زاد ذلك توسعاً عدم كفاية بعض العمال الذين نصبهم ، فإنهم لم يحسنوا الادارة ولم يتمكنوا من منع الشغب والفساد

وقد كانت الفتوحات فى زمنه كثيرة أيضاً ؛ وإنما جاءت متممة لفتوحات عمر ، وفى زمن عثمان أُنشىء أول أسطول عربى اسلامى فجمع العرب بذلك بين قوتى البحر والبر

وفى عهد عثمان خرج كثير من كبار الصحابة ورجال العرب الى الأقطار المفتوحة ، وأخذ العرب يسيرون فى طريق العادات والحياة المدنية التى لم يكن لهم سابقة فيها

وكان عمر يشدد فى هذا الأمر ، ويحاول منع العرب عن التوسع فيه

٤ — سيدنا على بن ابى طالب

كرم الله وجهه

نسبه — هو أبو الحسن على بن أبي طالب ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، ابن عبد مناف ، بن قصيّ ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه فاطمة بنت أسد ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، وكان عليّ أصغر بنيها ، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا ، فهو أول خليفة أبواه هاشميان

كنيته — وكنّاه عليه السلام (أبا تراب) وذلك أنه وجده نائمـًا فى المسجد قد سقط عنه رداؤه ، وأصاب التراب جسده ، فجاء حتى جلس عند رأسه وأيقظه ، وجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول له : اجلس إنما أنت أبو تراب

فكانت من أحب كناه اليه ، وكان يفرح إذا دعى بها

وكان اسمه الأول الذى سمته به أمه (حَيدرة) باسم أبيها أسد بن هاشم (والحيدرة) الأسد ، فغير أبوه اسمه وسماه (عليًّا)

مولده وإسلامه ونشأته — ولد بمكة داخل البيت الحرام فى السنة الثانية والثلاثين من ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وشب فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متحليًّا بمكارم الأخلاق ، مقتديًا به فى

أقواله وأفعاله ، فنشأ عفّ اللسان ، قوى العزيمة ، طاهر العقيدة ، لم يتدنس بدنس الجاهلية ، ولم يعبد وثناً قط ، ولم يسجد لصنم ، ولذا قيل : على (كرم الله وجهه)

ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان علىّ أول صبى أسلم) وسنه ثمان سنين . وقال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته المشهورة بالعلوية التى ألقاها فى الجامعة المصرية سنة ١٩١٩ مايأتى :

على فى صباه و إسلامه

« تبصَّرْ هَل ترى إلَّا عليًّا إذا ذُكر الهُدى ذاكَ الغُلاما »
« غُلام يَبتغى الإسـلامَ ديناً ولَمَّا يَعْدُ أن بلغَ الفِطاما »
« إذ الرُّوحُ الأمينُ بَهِمُ فأنذرْ أتى طٰه ليُنْذِرَهم فقاما »
« وأمَّتهم إلى الإسـلام أُمٌّ غَدتْ بالسَّبق أوفَرهم سِهاما (١) »
« وصَلى حَيـدر فشأى قُريشاً إلى الُحسنى فسَمَّوْه الإمَاما (٢) »
« وما اعتنق الحنيفَ بغيرِ رأى ولَم يَسلُكْ مَحجَّته إقتحاما (٣) »
« ولـكنَّ النُّبوةَ أمْهلته ليَجمع رأيه يوماً تمَـاما »

(١) المراد بها خديجة رضى الله عنها (٢) صلى أى جاء تالياً للاول — وشأى : سبق (٣) اقتحام الشىء ، دخوله بلا روية

« فأقبل والحجا يُرخى عليـه جلالًا يُصغر الشيخَ الهُماما »
« يَمُدّ الى النبىّ يدَ ابن عمّ بِحبْل الله يعتصِمُ اعتصاما »

...

« صغيرَ السن يخطر فى إباء فلا ضيماً يخافُ ولا مَلاما »
« وما زالت به الأيام ترَقى على دَرَج النهى عاماً فعاما »
« وقد جمع الحجا والدينُ فيه خلائق تجمع الخير اقتِثاما [1] »
« فما أَوفى على العشرين حتى شهدنا من عظائمه عُظاما [2] »

ولما بلغ مرتبة الرجال ، كان بحراً لا يُدرك غوره فى الحلم والحكمة ، راسخ الإيمان ، سخياً جواداً ، يتصدق على الفقراء مع ضيق حاله ، أبى النفس ، شديداً على الكفار ، رحيماً على المؤمنين

زواجه — تزوج بالسيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة ، وسنها خمس عشرة سنة ، ورزق منها بالحسن ، والحسين ، وزينب ، رضى الله عنهم أجمعين ، وكان خطيباً مفوهاً ، يستولى بفصاحته على النفوس ، وكان ممن يكتبون الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له النبى صلى الله عليه وسلم عندما آخى

(١) الحجا : العقل . والخلائق : الخصال . والاقتثام : جمع صفات الخير
(٢) العظام : العظيم

بين المهاجرين والأنصار (أنت أخى فى الدنيا والآخرة)

شجاعته و إخلاصه للنبى صلى الله عليه وسلم — فى الليلة التى اعتزم فيها

الكفار قتل النبى عليه الصلاة والسلام أمره الرسول أن يبيت فى مكانه ، تضليلاً للكفار ، وخرج هو مع أبى بكر مهاجرين الى المدينة ، فامتثل علىّ أمره ، وفداه بنفسه ، ونام فى فراشه ، غير هيَّاب ولا وجل ، فلما دخلوا عرفوه ، وأدركوا أن النبى قد فاتهم ، وأخفقت مكيدتهم

وقال الشاعر فى استخلافه ليلة الهجرة :

« فلم يَنس النبىُّ له صَنيعًا   عَشية ودَّع البيتَ الحراما »

« عشيةَ سامه فى الله نفسًا   لغير الله تكبرُ أن تُساما (١) »

« فأرخَصَهَا فِدًى لأخيهِ لَمَّا   تسجَّى فى حَظيرته وناما »

« وأقبلت الصوارم والمنايا   لحرب الله تَنتحم انتحاما (٢) »

« فلم يأبَه لها أنفًا علىٌّ   ولم تُقلق بجفنيهِ مَناما (٣) »

« وأغشى اللهُ أعينَهم فراحت   ولم ترَ ذلك البدرَ التَّماما »

« عَمُوا عن أحمدٍ ومضى نجيًّا   مع الصديق يدَّرع الظلاما »

---

(١) سامه الشىء طلبه منه   (٢) الانتحام علو النفس فى غضب أو خوف

(٣) يأبه يلتفت

« وغادَرت البطاحَ به رِكابٌ   الى الزَّوْراء تعتزم اعتزاما (١) »

« وفى أمِّ القُرى خـلَّى أخاه   على وَجدٍ به يشكو الأواما (٢) »

« أقامَ بهـا ليقضيَهَا حقوقاً   على طٰه بهـا كانت لزاما (٣) »

وقد شهد على مع الرسول صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها إلَّا غزوة (تبوك) لأن النبى صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة ، فلما أسف على ذلك، قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟

وكان له الآثار المحمودة ، والمواقف المشهودة ، فى الغزوات ، وهو الشجاع الذى لايصد ، والقوى الذى لايرد ، وكان الأبطال يتفاءلون باسمه ، فكانوا يكتبونه على سيوفهم ، كأنمـا هو آية النصر والفوز ، ولذا سموه « سيف الله المسلول »

أولياته – فهو أو المبارزين يوم بدر – وأول الثابتين يوم أحـد – وأول الفاتحين يوم خيبر – وأول السابقين يوم فتح مكة

ولمـا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع أبو بكر بايعه على مع أنه كان يرى له حقًا فى الخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولـكنه كان يكره الخلاف

---

(١) البطاح : مكة ، والزوراء : المدينة   (٢) الأوام : مر الشوق

(٣) لزاما : لازمة

ولما ولى عمر بايعه علىّ كذلك ، وزوجه بنته أم كلثوم ، وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب عنها

ولما بويع عثمان بايعه أيضاً ، حتى كان آخر خلافته ، وقام عليه الثوار ، وشنعوا عليه بتوليته أقاربه ، كان على كثيراً ما يمحص له النصح ، ويرشده الى ما فيه النجاح والفلاح

خلافته

بعد موت سيدنا عثمان رضى الله عنه اختلف الناس في أمر الخلافة ، وتحزبوا أحزابا ، غير أن الحزب الأقوى كان مع سيدنا على لتزكيته من أكابر الأنصار والمهاجرين وغالب الصحابة المعتبرين . فلما ذهبوا لمبايعته امتنع وقال لهم : « أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ، ومن اخترتم رضيته فانا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت عليه العقول »

فناشدوه الله والدين ، وألحوا عليه وقالوا : لا نعلم أحق منك ، ولا نختار غيرك ، فأبى ، فخوفوه الله فى مراقبة الإسلام حتى غلبوه فى ذلك فقال : قد أجبتكم ، فبويع له بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين هجرية ، وما تخلف عن مبايعته إلا نفر قليل ، منهم مروان ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن سلام ، وقدامة بن

مظعون ، وأبى سعيد الخدرى ، وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم من بنى أمية ، ولحقوا بالشام عند معاوية ، ومعهم قميص سيدنا عثمان ليطالوا بدمه ، مع أن سيدنا علياً أخذ يسأل عن قاتله ، ويبحث ، فلم يهتد الى الحقيقة

وفى ذلك قال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته العلوية :

خلافته ومبايعته

« مَضى عثمان والإسلام يُذْرى
عليه الدمع مُنهلًّا سِدَاما [1] »

« فزَنَّ أبا الحسين به فريق
ولجُّوا فى الظنون بهِ اتهاما [2] »

« وحاشى أن يريد أبو حسين
(بذى النورين) سوءًا أو ظِلاما [3] »

« علىّ كان أوّل من وَقاه
ومن ذادَ الردى عنهُ وحامى [4] »

« فيالكِ فتنةً ضرِمت فكانت
نفوسُ المسلمين لها ضِرَاما [5] »

---

(١) السدام : ماء متدفق (٢) زنه : أتهمه . ولج فى الشىء : تمادى

(٣) الظلام : الظلم (٤) ذاد : دفع (٥) الضرام : الوقود

« رأيت شرارَها ينتَابُ مِصرا
ومكة والجزيرةَ والشآما »

اختلاف المسلمين فى الخلافة

« رَمَت بالمسلمين إلى شَتَاتٍ
وأمسى حبلُ وَحْدَتهم رِمَاما [1] »

« طوائف فرقتهن المَرَامى
ولولَا الحقُّ ما افترقوا مراما »

الطائفة التى على الحيدة ومن بايعه

« فمنهم من أقام بكسر بيت
وأخلَدَ للسَّكينة فاستَنَاما »

« وطائفة على الحقِّ استقرت
فكانت بين إخوتها قَوَاما [2] »

« تُبايع وهى راضيةٌ عليًّا
وَتَرعَى فى خلافته الذِّماما [3] »

ولما دخل علىٌّ الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال :

(١) رمام : أى بال (٢) قواما : وسطاً وعدلا (٣) الذمام : العهد

والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ، ورفعتها وما رفعتك ، وهى كانت أحوج اليك منك اليها

أعماله فى الخلافة

بدأ أعماله فى الخلافة بتغيير بعض الولاة خصوصاً من كانوا سبباً فى الخروج على عثمان ، ثم أخذ يرتب حكومته على مايرى فيه الصالح وهدوء الخاطر ، فلم يلبث أن خرج عليه طلحة وابن العوام ، ولحقا بعائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرضاها على المطالبة بدم عثمان ، فانضم اليهم خلق كثير ، وساروا بنحو ثلاثين ألف مقاتل إلى البَصرة ، وحاربوا واليها ، حتى هزموه وقبضوا عليه ، فلما علم سيدنا على بذلك سار اليهم فى عشرة آلاف رجل وحاربهم محاربة عنيفة أسفرت عن هزيمتهم ، وعن قتل طلحة وابن العوام

وكانت عائشة إذ ذاك راكبة فى هودجها على جمل ، فسميت هذه الواقعة (واقعة الجمل) وعند انقضاء الحرب قابلها سيدنا على وأكرمها وردّها معززة الى المدينة

ومن أعماله أيضاً أنه ترك المدينة ، واتخذ الكوفة مقراً لحكومته ، وأرسل لمعاوية بن أبي سفيان يدعوه الى الطاعة ، والدخول فيما دخل

الناس فيه ، ويقطع طمعه فى الخلافة . فامتنع معاوية وقال : حتى تقتل قاتل عثمان ، ويختار المسلمون لهم إماماً

وبعد مكاتبات كثيرة بينهما فى هذا الشأن دعا معاوية نفسه بأمير المؤمنين واستعد للمحاربة

حروبه — فلما علم سيدنا على كرم الله وجهه بذلك أخذ جيشه وسار لمحاربته بالشام ، فاجتمع الجيشان فى جهة صفين (موضع فى العراق بشاطئ نهر الفرات) وسميت هذه الواقعة (بواقعة صفين)

وحينئذ طلب سيدنا علىّ من معاوية المبايعة والرجوع عن الحرب ، فأبى وأصرّ كل منهما على مطلوبه متحققا أنه الصالح للأمة ، فنشبت الحرب بينهما بقوة وشدة مدة طويلة حتى ظهرت السآمة والضعف فى جيش معاوية

فلما رأى ذلك عزم على الفرار ، فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على أطراف الرماح ، فرفعوها طالبين العمل بما فيها من التحكيم ،فقبل سيدنا على ذلك، واختار أهل الشام (عَمرو بن العاص) نائبًا عنهم ، واختار أهل العراق (أبا موسى الأشعرى) وكتبوا عهداً بذلك ، وبأن الاجتماع يكون بدومة الجنْدل (قرية بين الشام والمدينة) فى يوم معلوم

ثم رجع على الى الكوفة ، ومعاوية الى الشام ، وفى الموعد اجتمع الحكمان وكثير من الناس ، وتفاوضا فى الأمر أياماً ، وكل منهما حريص على صاحبه ، الى أن اتفقا على أن كل واحد منهما يخلع صاحبه ، والمسلمون يبايعون من يشاءون

فقام فى الناس (أبو موسى الأشعرى) خطيباً وقال : قد اتفقت أنا وصاحبى هذا (عمرو بن العاص) على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة ، وهو أن يخلع كل منا صاحبه ، ثم يختار المسلمون خليفة لهم ، وها أنا قد خلعت علياً ومعاوية كما أخلع سيفى هذا (وأخرجه من غمده)

ثم قام (عمرو بن العاص) شاهراً سيفه ، وقال : أيها الناس إن صاحبى هذا الأشعرى قد قال ماسمعتم ، وخلع صاحبه علياً ، وأنا مُصدق على خلعه أيضاً ؛ ولكنى أثبت صاحبى معاوية ، كما أثبت سيفى هذا (وأدخله فى قرابه) ونزل ، فصاحت الناس ، حكم الحكمان بغير ما فى كتاب الله

وعلى ذلك انتهى الأمر ، وانصرف أهل الشام مع عمرو يهنئون معاوية بالخلافة ، وانصرف أبو موسى ، ولحق بمكة حياء من الناس ؛ ولكن هذه الحيلة لم تكن حاسمة للأمر ، بل بقى كل على ما كان عليه ، وجرت أمور ليس هنا محل ذكرها

وفاته وسبب مقتله

بناء على ما تقدم صارت الدولة الإسلامية حزبين متضادين ، غير أن الفتنـة فشت فى حزب سيدنا على ، واستطار شرها مابين خوارج عليه ، وشيعته ، ومحاربين معه ، ومقاتلين لأجله ، حتى كثر النزاع ، وانتشر النفاق ، واختلفت الناس ، وتفرقت قلوبهم ، ولذا لمـا سأله بعضهم بقوله : كيف تختلف الناس عليك ، ولم تختلف على أبى بكر وعمر ؟ قال : إنهما كانا واليين على مثلى ، وأنا اليوم والٍ على مثلك . فأخذ سيدنا على كرم الله وجهه فى إطفاء تلك الفتنة ، ولـكن كان كلما أطفأ واحدة قامت أخرى ، حتى سئم الحياة ، وصار يستغيث بالله ، ويطلب اللحاق بمن سبقه ، فاجتمع بعض الخوارج وطلبوا قتل على ومعاوية وعَمرو بن العاص ؛ فتعهد بقتل الامام (عبد الرحمن بن مُلجم المرادى) وبقتل معاوية (البَرك بن عبد الله التميمى) وبقتل عَمرو (عمرو بن بكر التميمى)

واتفقوا على تنفيذ ذلك كله فى فجر الجمعة ١٧ من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة . فأما البَرك فذهب الى معاوية وانتظره حتى ضربه فى صلاة الصبح ضربة لم تمته ، وأمر به معاوية فقتل

وأما عَمرو بن بكر فذهب الى عَمرو بن العاص بمصر فلم يخرج تلك

الليلة لعذر ، وأناب عنه رجلًا يدعى (خارجة بن حبيب) فضربه الخارجي زاعمًا أنه عَمرو بن العاص فقبض عليه وقتل ، وعلى ذلك جاء المثل المشهور (أراد عَمراً ، وأراد الله خارجة)

وأما ابن مُلجم فأتى الكوفة وانتظر عليًّا حتى سمعه ينادى للصلاة فضربه بسيفه المسموم قائلا (الحكم لله لالك ياعلى، ولا لأصحابك)

فقال على : قتلنى الرجل ، لايفوتنكم ، فلما قبضوا عليه ، قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : النفس بالنفس ، إن هلكت فاقتلوه ، ولا تمثلوا به ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي يابنى عبد المطلب ، ثم قتلوا الرجل بعد موت أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وكان عمره إذ ذاك ٦٣ سنة ، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، ودفن فى بلدة تسمى بالنجف فى بلاد العجم

تأبينه

قال بكر بن حسان فى تأبين الإمام على قصيدة نذكر منها مايأتى :

« قل لإبن مُلجم والأقدار غالبةٌ هَدمت للدين والإسلام أركانا »

« قتلت أفضل مَن يمشى على قدم وأفضل الناس إسلاما وإيمانًا »

« وأعلمَ الناسِ بالقرآن ثم بما سنَّ الرسولُ لنا شرعًا وتبيانا »

« صِهر النبيِّ ومولاه وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهانا »

« وكان منه على رغم الحسود له   مكان هارون من موسى بن عمرانا »

وقال أبو الأسود الدؤلى يرثى علياً رضى الله عنه :

« ألا ياعين ويحك أسعدينا   ألا تبكى أمير المؤمنينا »

« وتبكى أم كلثوم عليه   بعبرتها وقد رأت اليقينا »

« ألا قل للخوارج حيث كانوا   فلا قرت عيون الحاسدينا »

« أفى شهر الصيام فجعتمونا ؟   بخير الناس طراً أجمعينا »

« قتلتم خير من ركب المطايا   وذللها ومن ركب السفينا »

« ومن لبس النعال ومن فداها   ومن قرأ المثانى والمبينا »

« وكل مناقب الخيرات فيه   وحب رسول رب العالمينا »

« لقد علمت قريش حيث كانت   بأنك خيرهم حسباً ودينا »

« إذا استقبلت وجه أبى حسين   رأيت البدر فوق الناظرينا »

« وكنا قبل مقتله بخير   نرى مولى رسول الله فينا »

« يقيم الحق لايرتاب فيه   ويعدل فى العدى والأقربينا »

« وليس بكاتم علماً لديه   ولم يخلق من المتكبرينا »

« كأن الناس إذا فقدوا علياً   نعام حار فى بلد سنينا »

« فلا تشمت معاوية بن صخر   فإن بقية الخلفاء فينا »

« وقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا »

أولاد على رضي الله عنه

قد اختلف الناس في عدد أولاده ، فمنهم من أكثر ، ومنهم من أقل ، ففى كتاب الأنوار لأبى القاسم اسماعيل ان أولاده ٣٢ اثنان وثلاثون ، ستة عشر ذكراً ، وست عشرة أنثى

وفى بغية الطالب : أولاده رضى الله عنه ٣٣ ثلاثة وثلاثون ، خمسة عشر ذكراً ، وثمان عشرة أنثى بالاتفاق

أما الذكور فهم : الحسن ، والحسين ، ومحسن (وأمهم فاطمة الزهراء البتول بنت الرسول صلى الله عليه وسلم) ومحمد الأكبر (أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية) وعبيد الله ، وأبو بكر (أمهما ليلى بنت مسعود) والعباس الأكبر ، ويلقب بالسقاء ، وعثمان ، وجعفر ، وعبد الله (أمهم بنت حزام) ومحمد الأصغر (أمه أم ولد) ويحيى ، وعوف (أمهما أسماء بنت عميس) وعمر الأكبر (أمه أم حبيب) ومحمد الأوسط (أمه امامة بنت أبى العاص) والجميع مذكورون فى كتاب نور الأبصار

. . .

وأما البنات فهن : أم كلثوم الكبرى زوجة عمر بن الخطاب ، ورُقية ، وزينب الكبرى ، شقيقة الحسن والحسين ، ورُقية ، شقيقة عمر الأكبر ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى (أمهما أم سعد)

وأم هانى ، وميمونة ، ورملة الصغرى ، وزينب الصغرى ، وفاطمة ، وامامة ، وخديجة ، وأم الخير ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، وتقية وجميعهن مذكورات فى كتاب نور الأبصار

وصف الامام على

ماذا يقول القائل ، فى وصف هذا الامام العادل؟ وكل وصاف منسوب الى العجز لتقصيره عن الغاية مهما انتهى به القول ؛ وكفى بشهادته صلى الله عليه وسلم بأنه (باب مدينة العلم) دليلاً على مكنون السرّ الذى فيه

فهو أول فى العلوم ، أول فى الشجاعة ، أول فى السخاء ، أول فى الحلم والصفح ، أول فى الفصاحة ، أول فى الزهد ، أول فى العبادة ، أول فى التدبير والسياسة ، أشد الناس رأياً ، وأصحهم تدبيراً ، لولا تقاه لكان أدهى العرب ؛ كأنما أفرغ فى كل قلب ، فهو محبوب الى كل نفس ، ظهر من حجاب العظمة بمعاليه ، فاستولى الاضطراب على الأذهان والمدارك ، وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشريعة ، أهل الذمة تحبه ، والفلاسفة تعظمه ، وملوك الروم تصوره فى بيوتها وبيعها ، ورؤساء الجيوش تكتب اسمه على سيوفها كأنما هو فأل الخير ، وآية النصر والظفر

هذا ماقاله المرحوم الشيخ محمد عبده فى وصفه

وقيل : دخل ابن عباس على معاوية فقال : يا ابن عباس صف لى عليًا ؟ قال : كأنك لم تَرَه . قال : بلى ؛ ولكن أحب أن أسمع منك فيه مقالاً

قال : كان أمير المؤمنين ، رضوان الله عليه ، غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ماقصر ، ومن الطعام ماخشن ، يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا دعوناه ، وكان مع تقربته إيانا وقربه منا لانبدأه بالكلام حتى يبتسم ، فإذا هو تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، أما والله يامعاوية لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو قابض على لحيته يبكى، ويتململ تململ السليم وهو يقول :

يا دنيا إياى تغرين ؟ أمثلى تشوقين ؟ لاحان حينك ، بل زال زوالك ، قد طلقتك ثلاثًا لارجعة فيها ، فعيشك حقير ، وعمرك قصير ، وخطرك يسير ، آه آه من بعد السفر،ووحشة الطريق،وقلة الزاد ! قال: فأجهش ومن معه بالبكاء.(وقيل أن هذا مروىّ عن ضرار الصدائى)

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين يصف محاسن أمير المؤمنين على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ومن حضره فى قصيدة له :

« رأوا نعمة لله « ليست عليهم »

عليك وفضلاً بارعًا لاتُنَازَعُهْ »

« فعضوا من الغيظ الطويل أكفهم
عليك ومن لم يَرض فالله خادعه »
« من الدين والدنيا جميعاً لك المنى
وفوق المنى أخلاقه وطبائعه »

صفاته ومناقبه

صفاته الخَلقية : كان على كرم الله وجهه ، شديد الأدمة ، ثقيل العينين عظيمهما ، أقرب الى القصر من الطول ، ذا بطن كثير الشعر ، عريض اللحية ، أصلع ، أبيض الرأس واللحية

صفاته الخُلقية :

شجاعته : علاوة على ماسبق ذكره من شجاعته ، و إخلاصه للنبى عليه الصلاة والسلام تقول :

كان لعلى كرم الله وجهه فى الحرب مواقف مشهودة يضرب بها الأمثال ، فهو الشجاع الذى مافرط قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلَّا قتله

وقد شهد الغزوات كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم إلا غزوة (تبوك) فقد خلفه على أهله حين خرج لقتال الروم فى جيش جرار ؛ وأبلى علىّ فى نصرة رسول الله مالم يبله أحد

وكان رضى الله عنه قويًا جداً ، فهو الذى قلع (باب خيبر) واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقدروا . قال جابر بن عبد الله : حمل عليٌّ الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وأنهم جرُّوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا (أخرجه ابن عساكر)

وهو الذى اقتلع هُبَل « صنم كبير كانت قريش تعبده » من أعلى الكعبة ، وكان عظيماً كبيراً فألقاه على الأرض

كرم أخلاقه ، وحلمه ، وعفوه – كان رضى الله عنه أحلم الناس عن مذنب ، وأصفحهم عن مسىء ، يشهد بذلك أنه ظفر يوم واقعة الجمل بمروان بن الحكم ، وكان أعدى الناس له ، وأشدهم بغضاً ، فصفح عنه وكان عبد الله بن الزبير يشتمه ويسبه على رءوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغد (اللئيم) على بن أبى طالب ، فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيراً وصفح عنه ، وقال له : اذهب فلا أرينك ، ولم يزده على ذلك . وظفر بسعيد بن العاص بعد واقعة الجمل بمكة ، وكان له عدواً ، فأعرض عنه ، ولم يقل شيئاً ، وتمت له الغلبة على السيدة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل ، فكانت عاقبة أمرها معه أن جهزها بكل ماينبغى لها من مركب وزاد ومتاع ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وردها الى المدينة مكرمة محترمة ، وحاربه أهل البصرة وسبوه ، ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم

ولمـا ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقال رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتـلوا عثمان عطشاً ، سألهم على وأصحابه أن يسوغوا له شرب الماء ، فقالوا : لا والله ، ولا قطرة حتى تموت ظمأً كما مات عثمان بن عفان

فلما رأى أن الموت لا محالة منه تقدم بأصحابه، وهجم على عسكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم ، بعد قتل ذريع ، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية فى الفلاة بلا ماء ، فقال له أصحابه وشيعته : امنعهم المـاء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضاً بالأيدى فلا حاجة لك الى الحرب

فقال رضى الله عنه : لا والله لا أُكافئهم بمثل فعلهم ، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففى حد السيف ما يغنى عن ذلك

تواضعه رضى الله عنه — كان يواسى الضعفاء ، ويجالس الفقراء ، ويساعدهم ، وكان يشترى طعامه بنفسه ويحمله، فاذا أراد أحد أتباعه حمله عنه، قال : أبو العيال أحق بحمله ،ولنضرب لكم مثلاً من تواضعه

حكى سيدنا على عن نفسه قال: جعت بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينـة (موضع قريب من المدينـة) فاذا أنا

بامرأة قد جمعت مدراً (حصى)فظننتها تريد بلّه لتعمله طيناً، هى فى حاجة اليه ، فأتيتها فعاطيتها كل دلو بتمرة ، فمددت ستة عشر ذنوباً (دلواً) حتى محلت يدى . ثم أتيتها فقلت بكلتا يدى : هكذا بين يديها (وبسط يديه جميعاً) فعـدّت لى ست عشرة تمرة ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم، فأخبرته فأكل معى، وقال لى خيراً ، ودعا لى

فانظروا الى أى حد تواضع سيدنا على حتى اشتغل للمرأة بالأجر وكيف خدمها؟ ولم يعتمد على أحد فى الحصول على التمرمنها، لعلمه أن الانسان ينبغى ألا يأكل إلا من عرق جبينه ، وأن يجتهـد فى العمل للحصول على نفقاته

عبادته ، وتقواه – كان رضى الله عنه، أول من آمن من الصبيان ، فلم يتورط فيما تورطت فيه قريش من العكوف على عبادة الأوثان ، ولم يسجد لصنم قط ، ولذا يدعى له (كرم الله وجهه) كما تقدم وأقبل على عبادة ربه بقلب يملؤه الإيمان الخالص ، ويعمره الولاء المحض ؛ فكان إماماً فى العبادة ، والورع، والتقوى

وفى ذلك قال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته :

« ونفساً لم تذق طعم الدنايا ولا لذّت من الدنيا طعاما »

« غذاها الدين مذ كانت فشبت على التقوى رضاعا وانفطاما »

« ونشّأها على كرم وأيد   وصاغ من الجلال لها قواما »
« زكت فسمت عن الدنيا طِلابا   وأضنى حبها قومًا وتاما[(١)] »
« طوى عنها على الضراء كشحاً   وعاف نُضارَها تبراً وسَاما[(٢)] »

زهده — وكان رضى الله عنه سيد الزهاد فى الدنيا ، الجانحين عن الاغترار بزخارفها، والانخداع بباطلها ، وكان أخشن الناس مأكلاوملبساً، طلق الدنيا ، وكانت الأموال تجىء اليه من جميع بلاد الإسلام

حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعى قال :

لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد ، فكوّم كومة من ذهب ، وكومة من فضة ، وقال: ياحمراء ، ويابيضاء ، احمرى وابيضى، وغُرِّى غيرى ، وأنشد :

« هذا جَنَاىَ وخيارُه فيه   إذ كل جانٍ يدُه الى فيه »

رأيه وتدبيره — كان رضى الله عنه، من أحسن الناس رأيًا، وأصحهم تدبيراً، يفزع الى مشورته الخلفاء إذا أشكل عليهم الأمر ؛ ألا ترى أن عمر بن الخطاب ، وقد عزم أن يتوجه بنفسه لغزو الفرس ، استشار الإمام علياً ، لما يعرفه من حصافة رأيه ، وثقوب فكره ، فأشار عليه بالرأى السديد ، وكان ماقاله له : إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا

(١) تيمه   (٢) قطعه

خذلانه، بكثرة ولاقلة، وهو دين الله الذى أظهره ، وجنده الذى أعده ، وأمده حتى بلغ مابلغ ، وطلع حينما طلع ، ونحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده

والعرب اليوم ، وان كانوا قليلا ، فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع . فكن قطباً ، واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهم دونك نار الحرب الخ

ولقد أشار على سيدنا عثمان بأمور كان فيها خلاصه ، ولو قبلها لم يحدث له ماحدث

سياسته — كان رضى الله عنه صلْباً فى الحق ، لاتلين قناته هوادة ، ولا تأخذه فيه مراعاة ، وهو يربأ بنفسه أن يستهوى الأفئدة بالمداجاة والمقاربة، وبذل العطاء، كما كان يفعل سواه ، ثم هو يرى أن حيدته عن خطته تلك تنكب عن منهاج الشرع القويم، وانتقاص لدينه ، وكان من جراء ذلك أن انفض من حوله أمسُّ الناس رحماً به، كأخيه عقيل ،وابن عمه عبد الله بن عباس ، وكان مسلكه ذلك أحد أسباب إخفاقه

ولنذكر مثلا يؤيد ذلك :

رووا أن عقيلا لزمه دين ، فقدم عَلَى علىٍّ بالكوفة فأنزله ، وأمر ابنه الحسن ، فكساه ، فلما أمسى دعا بعشائه ، فاذا هو خبز ، وملح ، و بقل، فقال عقيل : ماهو إلَّا ما أرى ؟

قال : لا . قال : فتقضى دينى . قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفا ، قال : ماهى عندى . ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فانه أربعة آلاف فأدفعه اليك ، فقال : بيوت المال بيدك،وأنت تسوفنى بعطائك قال : أتأمرنى أن أدفع اليك أموال المسلمين،وقد ائتمنونى عليها ؟ قال : فانى آت معاوية . فأذن له، فأتى معاوية (وكان معاوية زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة)

غاضب عقيل أخاه ، وهجره الى معاوية ، فأكرمه وقربه ، وقضى حوائجه، وأدى عنه دينه، وقد قال له معاوية يوماً : هذا أبو يزيد، لولا أنه علم أنى خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : أخى خير لى فى دينى ، وأنت خير لى فى دنياى ، وقد آثرت دنياى ، أسأل الله خاتمة خير . وقال له معاوية : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك على . قال : صدقت، إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير من أخى ، وأخى خير لنفسه منك

تصدقه وإحسانه — عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام الظهر ، فسأل سائل فى المسجد ، فلم يُعطه أحد شيئًا ، فرفع السائل يديه الى السماء ، وقال : اللَّهم أشهد ، إنى سألت فى مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فلم يُعطنى أحد شيئًا ، وكان على رضى الله عنه فى الصلاة راكعًا ، فأومأ

اليه بخنصره اليمنى، وفيه خاتم من فضة، فأقبل السائل، فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبى صلى الله عليه وسلم، وهو فى المسجد، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى السماء، وقال: اللّٰهم إنّ أخى موسى سألك فقال:

﴿ رَبِّ اُشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى وَاُحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يفقهوا قَوْلِى واُجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى هَارُونَ أَخِى اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى ﴾ طه (فأنزلت عليه قرآنا)

﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ القصص

اللّٰهم وإنى محمد نبيك وصفيك، اللّٰهم اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً من أهلى عليًّا أشدد به ظهرى

قال أبو ذر رضى الله عنه: فما استتم دعاءه حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل وقال: يا محمد اقرأ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة (نقلها ابو اسحٰق احمد البقلى فى تفسيره)

ونقل الواحدى فى تفسيره يرفعه بسنده الى ابن عباس رضى الله

عنهما قال : كان مع على رضى الله عنه أربعة دراهم لايملك غيرها فتصدق بدرهم ليلًا ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرًّا ، وبدرهم علانيةً ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ البينة قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى : أنت وشيعتك تأتى يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ، ويأتى أعداؤك غضاباً مقمحين

قصة عن تصدق سيدنا على وأهله على الفقراء والمساكين

حصل لسيدنا على رضى الله عنه وأهله جوع ، فأخذ من يهودى صوفاً لتغزله السيدة فاطمة زوجته بالأجر ، ثم اشترى بأجرها ثلاثة أقداح من الشعير ، وفى اليوم طحنوا قدحاً وخبزوه أقراصاً ، ومن عادة العرب أن يطحنوا ويخبزوا فى ساعة واحدة

فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين وقال : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة . أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،

أطعمونى شيئاً لله ، فأعطوه الأقراص

وفى ثانى يوم جاءهم يتيم وقال مثـل ذلك ؛ وفى ثالث يوم جاءهم أسـير وقال لهم مثل ذلك أيضا ، ثم باتوا على المـاء (أى لم يأكلوا شيئاً) بل كانوا يشربون الماء فقط ، فجاع سيدنا الحسن والحسين جوعاً شديداً فخرج سيدنا على الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك ، فأعطاه سَلَّة وقال له : اذهب بها الى تلك النخلة ، فرزقهم الله تعالى رطباً جنياً ، فأكلوا حتى شبعوا وفيهم يقول الله تعـالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ الدهر

فهكذا يكون الاحسان والعمل الصالح لبنى الانسان

وقال فى جوده وكرمه المرحوم الشيخ محمد عبد المطاب فى قصيدته المسماة بالعلوية ما يأتى:

« على حُب الطعام يصدُّ عنه ليطعَمهُ الأرامل واليتَامى »
« سلِ القرآن أو جبريل تعلم مكارم لن تَبيدَ ولن تُراما »
« مَنِ الأبرار يغتبقون كاساً من الرضوان مترَعةً وجَاما (١) »
« علىٌّ والبتُول وكوكَباهُ ضِياء الأرض ان أُفق أغاما (٢) »
« ثَناء فى الـكتاب له عَبيرٌ تقَصّرُ عنه أرواح الخزُامى (٣) »

---

(١) اغتبق : شرب الخمر ليلا — والجام : كأس فضة
(٢) أغام : كان ذا غيم (٣) الخزامى : نبت طيب

علمه ـ أما علمه كرم الله وجهه ، فمما لاجدال فيه ، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم (أنا مدينة العلم وعلى بابها) وهذا حديث حسن أخرجه الترمذى ، وتشهد بذلك آثاره من وعظ ، وخطب ، ونثر ونظم ، وبدائع وحكم ، كلها مدونة فى كتبه المشهورة المنشورة بين الأمم مثل نهج البلاغة وغيره

وهو أول من ابتـدع علم النحو وأنشأه ، وأملى على أبى الأسود الدؤلى قواعده وأصوله ، وقال له أنح هذا النحو يا أبا الأسود ، وكان أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء ، وأخطب الخطباء

وكان رضى الله عنه أبرع الصحابة فى علوم الدين ، إماماً ثَبتاً فى الفقه والتفسير ، حجة فى الفتوى ، وليس أدل على ذلك من أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رجع اليه فى كثير من المسائل التى أَشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقال غير مرة : لولا على لَهَلك عمر ، وقال : لايفتين أحد فى المسجد وعلىٌّ حاضر ، وقال : اللَّهم لا تبقنى لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، والدليل على ذلك القصة الآتية التى تدل على حذقه وعلمه :

روى أن رجلا أتى به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان صدر منه أن قال لجماعة من الناس وقد سألوه ، كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى ، وأومن بمن لا أدرى ، وأقر بما لم يُخلق

فأرسل عمر الى على رضى الله عنهما : فلما جاءه وأخبره بمقالة الرجل فقال : صدق

١ ـ يحب الفتنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ التغابن

٢ ـ ويكره الحق ، يعنى الموت لقوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ق

٣ ـ ويصدق اليهود والنصارى لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ البقرة

٤ ـ ويؤمن بما لم يره ، أى يؤمن بالله عز وجل

٥ ـ ويقر بما لم يُخلق يعنى الساعة

فقال عمر رضى الله عنه : أعوذ بالله من معضلة لا على بها

وقال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته المشهورة بالعلوية فى مدح سيدنا على بالعلم :

« وسَل أهلَ السلام تجد علياً أمام النـاس يبتدر السلاما »

« حَوى علم النبوة فى فؤاد طَمَا بالعلم زخّاراً فَطَاما [1] »

---

(١) طما : زخر وعلا ، وطام : حسن عمله

« سقاه الحق أفواق المعانى وهيّمه به حبًّا فهاما (١) »
« وزوّده اليقينَ به فكانت أفاويقُ اليقين له قِوَاما »
« رَمى فى عالم الأنوار سَبْحًا الى سُوح الجلال به ترامى (٢) »

حكمه وقضاؤه – قال على رضى الله عنه : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت : يارسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ، ولا أدرى ما القضاء ؟ فضرب صدرى ثم قال : اللّهم اُهد قلبه ، وثبت لسانه ، فوالذى فلق الحبة ، ماشككت فى قضاء بين اثنين

وقال عليه الصلاة والسلام : أقضاكم على

والسبب فى ذلك ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع جماعة من الصحابة فجاءه خصمان ، فقال أحدهما : يارسول الله إن لى حماراً ، وإن لهذا بقرة ، وإن بقرته قتلت حمارى

فبدأ رجل من الحاضرين ، فقال : لاضمان على البهائم

فقال صلى الله عليه وسلم : اقض بينهما ياعلى

فقال على لهما : هل كانا مرسلين أم مشدودين ؟ أم أحدهما مشدود والآخر مرسل ؟

فقالا : كان الحمار مشدوداً ، والبقرة مرسلة ، وصاحبها معها

---

(١) أفواق : اللبن ، والمرادهنا الاطلاق (٢) السوح ، جمع ساحة

فقال على : على صاحب البقرة ضمان الحمار

فأقر صلى الله عليه وسلم حكمه ، وأمضى قضاءه

شفقته وعدله فى رعيته ـ يحكى أن سيدنا عليًا جاء الى أصحاب التمر ، فوجد جارية تبكى عند التمار (وكان الخليفة وقتئذ) فلما رأى هذه الجارية تبكى أراد أن يعلم سبب بكائها ، فجاء اليها وقال لها : ماشأنك ؟ (يعنى لماذا تبكين ؟) فقالت الجارية : باعنى التمار بدرهم ، فردّه مولاى (سيدى) ولم يقبله . فقال سيدنا على : ياصاحب التمر خذ تمرك وأعطها درهمها فانها خادم ، وليس لها أمر (يريد أن البيع لايلزمها لأن سيدها هو صاحب الشأن)

فدفع التمار سيدنا عليًا ، وكان بعض الناس حاضرًا

فقال المسلمون للتمار : أتدرى مَن دفعت ؟ أى هل تعلم مَن الذى دفعته بيدك ؟

فقال الرجل : لا . قالوا : هو أمير المؤمنين

فصب الرجل تمرها ، وأعطاها درهمها ، وأراد أن يعتذر لسيدنا على ، لأنه أخطأ فى دفعه ، وكان عليه أن يقبل منه كلامه فى أول الأمر فجاء لسيدنا على ، وقال : أحب أن ترضى عنى

فقال على رضى الله عنه : ما أرضانى عنك إذا وفيت الناس حقوقهم

فاعتذر الرجل لسيدنا على عما كان منه

فمن هـذه القصة تعلم مقدار تواضعه ، وحلمه ، وعفوه ، وعدم ضرره للرجل الذى أساء الأدب ، وكيف نصح له ومنعه من ظلم الناس ؟ وأمره برد الحقوق الى أصحابها ، وترى أنه كان يهمه أمر الرعية والعدل بينهم ، وحسن المعاملة فى البيع والشراء مثل سيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، رضى الله عنهم أجمعين

أمانته على مال المسلمين وعدله — كان رضى الله عنه أميناً على مال الأمة : فمما يؤثر عنه، أنه كان فى بيت المال عقد لؤلؤ ، فطلبته ابنته من الخازن ، واستعارته لتتجمل به يوم عيد الأضحى ، فأرسلها اليها عارية مضمونة ، ترد لبيت المال بعد ثلاثة أيام ، فرآه سيدنا على فى عنق ابنته يوم العيد، فعرفه فسألها من أين جاء اليها ؟

فقالت : استعرته من خازن بيت المال ، لأ ترين به فى العيد ، ثم أرده ، فبعث اليه سيدنا على ووبخه على إعارته العقد لبنته بغير إذنه ، و بغير رضا المسلمين . فقال له الخازن : إنها ابنتك ، وطلبته منى عارية مردودة ترده سالماً الى موضعه ، فأمره سيدنا على بأن يرده من يومه وحذَّره بألَّا يعود لمثل ذلك

ثم وبخ ابنته على ذلك ، فقالت له (وكانت تظن أنه يوافقها) :

يا أمير المؤمنين ، أنا ابنتك ، وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه منى ؟
فقال لها : أكل نساء المهاجرين ، والأنصار ، يتزين في مثل هذا العيد بمثل هذا ؟ (يريد أنها لاحق لها فى ذلك)

ثم أمر برده ، فأعادته الى بيت المال

فمن هذه القصة نعلم مقدار حب سيدنا على للحق ، والعدل ، والانصاف ، وشدة أمانته ، وحرصه على مال المسلمين ، وأنه كان لا يحب أن تكون أسرته أحسن من باقى أسر المسلمين

وقيل : انه كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين

يوم المباهلة — هو اليوم الذى أخذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علياً كرم الله وجهه ، والسيدة فاطمة الزهراء زوجته والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين وقصد (مباهلة اليهودى) ودعا القوم المشركين للبراز للدعاء والمباهلة ، فجاء زعيم اليهود ونظر فى وجوههم ، فصعق من النور الربانى ، والهيبة والجلال ، فقال لقومه : هؤلاء قوم إذا دَعوا لا ترد دعوتهم

وقد نزلت فى المباهلة الآية الآتية :

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ آل عمران

وفى ذلك يقول الشيخ محمود عبد الله القصرى فى قصيدته العلوية :

« وخصَّهم يوم قصد الابتهال بأن
قال اتبعونى لحجى فرقة الاضَمِ »

« فتابعوه خروجا للوجوه ضيا
يبديه سر معان فى قلوبهم »

« قال الزعيم وجوه لا ترد اذا
توجهت لاله العرب والعجم »

« الان آمنت قبل الابتهال بأن
قد ينكر الفم طعم المـاء من سقم »

« قد حصحص الحق انى لا أباهلكم
واننى مخطىء فى الزعم والزعم »

الأحاديث الواردة فى فضله

قد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضل الإمام على كرم الله وجهه وحب رسول الله له نذكر بعضها :

١ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل : ماورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ماورد لعلى رضى الله عنه (أخرجه الحاكم)

٢ ـ وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف على بن أبي طالب فى غزوة تبوك فقال : يارسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ، فقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى ؟ غير أنه لا نبى بعدى »

٣ ـ وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس يدوكون (أى يخوضون و يتحدثون) ليلتهم أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال: أين على بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه ، قال : فأرسلوا اليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عينيه ،

ودعا له فبرئ ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية

٤ ـ وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية : « ندع أبناءنا وأبناءكم » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً فقال : اللّهم هؤلاء أهلي

٥ ـ وأخرج الترمذي ، والحاكم ، وصححه عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم ، قيل : يارسول الله سمهم لنا ، قال : عليّ منهم (يقول : ذلك ثلاثا) وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان

٦ ـ وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « علي مني وأنا من علي»

٧ ـ وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء علي تدمع عيناه فقال : يارسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت أخي في الدنيا والآخرة

٨ ـ وأخرج مسلم عن علي قال : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي الىّ أنه لايحبني إلّا مؤمن ، ولا يبغضني إلّا منافق

٩ ـ وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (أنا مدينة العلم وعلىّ بابها) هذا حديث حسن على الصواب، وسبق ذكره فى علمه

١٠ ـ وأخرج الحاكم وصححه عن على قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت : يارسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ، ولا أدرى ما القضاء ؟ فضرب صدرى بيده ثم قال : اللّهم اهد قلبه ، وثبت لسانه ، فوالذى فلق الحبة ماشككت فى قضاء بين اثنين ، وسبق ذكره فى قضائه

١١ ـ وأخرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : علىّ أقضانا

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : أفرض أهل المدينة وأقضاهم على بن أبى طالب

١٢ ـ وقال عبد الله بن عيّاش بن أبى ربيعة : كان لعلى ماشئت من خرس قاطع فى العلم ، وكان له البسطة فى العشيرة ، والقدم فى الإسلام ، والعهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه فى السنة ، والنجدة فى الحرب ، والجود فى المال

١٣ ـ وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : لقد أعطى على ثلاث خصال ، لأن تكون لى خصلة منها أحب الىّ

من أن أعطى حمر النعم . فسئل ، وماهن ؟ قال : تزَوَّجه ابنته فاطمة وسكناه المسجد ، لايحل لى فيه مايحل له ، والراية يوم خيبر

١٤ ـ وأخرج أبو يعلى ، والبزار عن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آذى علياً فقد آذانى

١٥ ـ وأخرج الطبرانى بسند صحيح عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحبَّ علياً فقد أحبنى ، ومَن أحبنى فقد أحبَّ الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضنى ، ومن أبغضنى فقد أبغض الله

١٦ ـ وأخرج أحمد ، والحاكم وصححه عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سبَّ علياً فقد سبنى »

١٧ ـ وأخرج الطبرانى عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « على مع القرآن والقرآن مع على لايفترقان حتى يردا على الحوض »

آثاره

نبذ من كلامه ، وحكمه ، ووصاياه

١ — النثر

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما انتفعت بكلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعى بكتاب كتبه إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فانه كتب الى :

أما بعد فان المرء يسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، ويسره إدراك مالم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على مافات منها ، وما نلت من دنياك ، فلا تكن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه ، وليكن همُّك لما بعد الموت والسلام

وأخرج ابن عساكر عن ربيعة قال : قال علىّ : كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، إنه ليس فى الطير شىء إلا وهو يستضعفها ، ولو يعلم الطير مافى أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها

خالِطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم ، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ، فان للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحبّ

وأخرج ابن يحيى بن جعدة قال : قال على بن أبى طالب : ياحملة

القرآن اعملوا به ، فانما العالم من علم ، ثم عمل بما علم، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً فيباهى بعضهم بعضاً ، حتى أن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، ويدعه أولئك لاتصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله

وقال رضى الله عنه يخاطب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أردت أن تلحق بصاحبيك ، فاقصر الأمل ، وكل دون الشبع ، وارقع القميص ، والبس الإزار ، واخصف النعل تلحق بهما

وقال رضى الله عنه : الشىء شيئان : شىء قصر عنى لم أرزقه فيما مضى ، ولا أرجوه فيما بقى ، وشىء لا أناله دون وقته ، ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرض

فما أعجب الانسان ليسره درك مالم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه ، ولو أنه فكر لأبصر ، ولعلم أنه مدبر ، واقتصر على ماتيسر ، ولم يتعرض لما تعسر ، واستراح قلبه مما استوعر

فكونوا أقل ماتكونون فى الباطن آمالا ، وأحسن ما تكونون فى الظاهر أعمالا ، فان الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدباً حسناً ، فقال عز من قائل :

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ البقرة

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء ، طلباً لما عند الله تعالى ! وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله

ومن كلامه : التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ، ولا وحشة أشد من العجب

ومن كلامه رضى الله عنه : لاتكون غنياً حتى تكون عفيفاً ، ولا تكون زاهداً حتى تكون متواضعاً ، ولا تكون متواضعاً حتى تكون حليماً ، ولا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ماتحب لنفسك ، وكفى بالمرء جهلًا أن يرتكب ماعنه نهى ، وكفى به عقلًا أن يسلم الناس من شره ، وأعرض عن الجهل وأهله واكفف عن الناس ماتحب أن يكف الناس عنك ، وأكرم من صافاك ، وأحسن مجاورة من جاورك ، وإن جانبك

واكفف الأذى ، واصفح عن سوء الأخلاق ، ولتكن يدك العليا إن استطعت ، ووطن نفسك على الصبر على ما أصابك ، وألهم نفسك القناعة ، وأكثر الدعاء تسلم من ثورة الشيطان ، ولا تنافس

على الدنيا ، ولا تتبع الهوى ، وعليك بالشيم العالية ، تقهر من يناويك

وعنه أيضاً : قل عند كل شدة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تكف ، وقل عند كل نعمة : الحمد لله ، تزد منها

وإذا أبطأت عليك الأرزاق ، فاستغفر الله يوسع عليك .

مفتاح الجنة الصبر ، ومفتاح الشرف التواضع ، ومفتاح الكرم التقوى

قال ينصح ابنه الحسن

يابنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ماتحب لنفسك ، واكره له ماتكره لها ، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ماتستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل مالاتعلم ، وإن قلّ ماتعلم ، ولا تقل مالاتحب أن يقال لك ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرّاً

واعلم أن حفظ مافى يديك ، أحَب الىّ من طلب مافى يد غيرك ، ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام ، وجدّ فى الحصول على معاشك ، وإياك والاتكال على المنى ، فانها بضائع الموتى والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور

وقال ينصحه أيضا

يا بُنى سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، و إياك أن تذكر فى الكلام ما كان مُضحكا ، و إن حكيت ذلك عن غيرك ، وأكرم عشيرتك ، فانهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى اليه تصير ، ويدك التى بها تصول ، ولسانك الذى به تقول ، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه

وقال ينصحه أيضا

يا بنى ابذل لصديقك كل المودة ، ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة ، وأعطه كل المواساة ، ولا تفش له كل الأسرار

وكتب الى ابنه الحسن ينصحه

أحى قلبك بالموعظة، ونوّره بالحكمة. وذلله بذكر الموت، وقوّه بالغنى عن الناس ، وحذره صولة الدهر وتقلب الأيام والليالى ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وسر فى ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوه ، وأين حلوا ونزلوا ، فانك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ،

وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لاتعرف ، والخطاب فيما لا تكلف ، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته،وأْمر بالمعروف بيدك ولسانك،ولاتأخذك فى الحق لومة لائم، وتفقه فى الدين ، وعوّد نفسك الصبر على المكروه

وقال يعظه أيضاً

يابنى احفظ عنى أربعا وأربعا لايضرك ماعملت معهن : أغنى الغنى العقل ؛ وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ؛ وأكرم الحسب حسن الخلق

يا بنى إياك ومصادقة الأحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة البخيل ، فانه يبعد عنك أحوج ماتكون اليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه ، وإياك ومصادقة الكذاب ، فانه كالسراب، يقرب اليك البعيد ، ويبعد عنك القريب

وصيته لأولاده

يا بَنى ، عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا اليكم ، وإن فقدتم بكوا عليكم

يا بَنى ، إن القلوب جنود مجندةٌ تتلاحظ بالمودة ، وتتناجى بها ،

وكذلك هى فى البغض ؛ فاذا أحببتم الرجل من غير حق سبق منه اليكم فارجوه؛ واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاحذروه

نبذ من كتبه

كتب الى معاوية ينصحه

اتق الله فيما لديك ، وانظر فى حقه عليك ، وارجع الى معرفة مالاتعذر بجهالته ، فان للطاعة أعلاماً واضحة ، وسبلا نيرة ، ومحجة نهجة ، وغاية مطلوبة ، يردها الأكياس ، ويخالفها الانكاس ، من نكب عنها جار عن الحق ، وخبط فى التيه ، وغير الله نعمته ، وأحل به نقمته ،فنفسك نفسك ، فقد بين الله لك سبيلك ، وحيث تناهت بك أمورك ، فقد أجريت الى غاية خسر ، ومنزلة كفر

وكتب الى عامله على البَصرة ينصحه

دع الإسراف مقتصداً ، واذكر فى اليوم غدا ، وأمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل ليوم حاجتك

أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين ، وأنت عنده من المتكبرين ؟ وتطمع وأنت متمرغ فى النعيم ،تمنعه الضعيف والأرملة ، أن يوجب لك ثواب المتصدقين ؟ وإنما المرء مجزى بما أسلف ، وقادم على ما قدم ، والسلام

كتب الى عامله على البَصرة ينصحه

كتب على كرم الله وجهه الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة وكان بلغه أنه دعى الى وليمة فمضى اليها ، قال رحمه الله :

أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فتية أهل البَصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل اليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب الى طعام قوم عائلهم مَجفو ، وغنيهم مَدعو ، فانظر الى ماتقضمه ، فما أشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه ؛ ألا وان لكل مأموم إماماً يقتدى به ، ويستضىء بنور علمه ، ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (الإزار والرداء) ومن طعامه بقرصيه ، ألا وأنكم لاتقدرون على ذلك ، ولكن أعينونى بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنيا كم تبراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالى ثوبى طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه إلا كقوت أتانى دَبرة ، ولهى فى عينى أدهى وأوهى من عصفة مقِرة (أى مُرَّة)

نبذ من أمثاله

خير اخوانك من واساك ،وخير منه من كفاك. خير مالك ما أعانك على حاجتك ، من كان فى النعمة جهل قدر البلية ، السؤال مذلة،والعطاء

محبة ، صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، الحرُّ حر ولو مسه الضر . ماضل من استرشد ، ولا خاب من استشار ، المودة بين الآباء صلة بين الأبناء ، جودة الكلام فى الاختصار ، خير الكلام ماقل ودل ، ولم يطل فيمل ، جليس المرء مثله ، خف الله تأمن غيره ، خالف نفسك تسترح ، خير الأصحاب من يدلك على الخير ، دليل عقل المرء فعله ، ودليل علمه قوله ، دوام السرور برؤية الاخوان ، رفاهة العيش فى الأمن ، دم على كظم الغيظ تحمد عواقبك ، ذكر الموت جلاء القلوب ، زينة الباطن خير من زينة الظاهر

شذرات من خطبه

خطبته بعد البيعة له بالخلافة

لما تمت بيعة على برضا معظم أهل المدينة صعد رضى الله عنه المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس ، ان الله تعالى أنزل كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ، ودعوا الشر ، الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى تؤدكم الى الجنة ، إن الله حرم حرمات غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها . فالمسلم

من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. لايحل أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت، فان الناس أمامكم، وإنما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا تلحقوا، فانما منتظر بالناس أخراهم

اتقوا الله عباد الله فى بلاده ، وعباده ، فانكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه ، واذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه،واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض

ثم نزل

من خطبة له فى الوعظ

رحم الله امرءاً سمع حكما فوعى ، ودعى الى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا ، راقب ربه، وخاف ذنبه ، قدم خالصاً، وعمل صالحاً ، اكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، رمى غرضاً ،وأحرز عِوَضاً . كابر هواه ، وكذب مناه ، جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عُدة وفاته ، ركب الطريقة الغَراء ، ولزم المحجة البَيضاء ، اغتنم المَهل،وبادر الأجل، وتزوّد من العمل

من خطبة له فى الوعظ

أعجب مافى الانسان قلبه، وله مواد فى الحكم وأضداد من خلافها، فان سنح (ظهر) له الرجاء أذله الطمع، وإن هاجه الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وان أسعد بالرضا نسى التحفظ، وإن أتاه الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته العزة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن استفاد مالاً أطغاه الغنى، وان عضته فاقة بلغ به البلاء، وان جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط فى الشبع كظته (ملأته) البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له قاتل

ومن خطبة له فى التقوى

حمد الله وأثنى ثم قال: أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله، ولزوم طاعته، وتقديم العمل، وترك الأمل، فانه من فرط فى عمله لم ينتفع بشىء من أمله

أين التعب بالليل والنهار، المقتحم للجج البحار، ومفاوز القفار، يسير من وراء الجبال، وعالج الرّمال. يصل الغدوّ بالرواح، والمساء بالصباح، فى طلب محقرات الأرباح، هجمت عليه منيته فعظمت بنفسه

رزيته، فصار ماجمع بوراً ، وما اكتسب غروراً ، ووافى القيامة محسوراً

أيها اللاّهى الغار بنفسه كأنى بك ، وقد أتاك رسول ربك ، لايقرع لك باباً ، ولا يهاب لك حجاباً ، ولا يقبل منك بديلاً ، ولا يأخذ منك كفيلاً ، ولا يرحم لك صغيراً ، ولا يوقر فيك كبيراً ، حتى يؤديك الى قعر مظلمة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية ، والقرون الماضية

أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وبنى وشيّد ، وزخرف ونجد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يُمتَّع ؟

أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؟ أضحوا رفاتا ، تحت الثرى أمواتًا ، وأنتم بكأسهم شاربون ، ولسبيلهم سالكون

عباد الله ، فاتقوا الله ، وراقبوه ، واعملوا لليوم الذى تسير فيه الجبال وتشقق السماء بالغمام ، وتتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل ، فأىّ رجل يومئذ تراك ؟ أقائل: هاؤم اقرءوا كتابيه، أم ياليتنى لم أوت كتابيه نسأل من وعدنا باقامة الشعائر جنته أن يقينا سخطه

إِن أحسن الحديث وأبلغ الموعظةِ كتابُ الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

هذا وإن كتاب نهج البلاغة قد جمع من خطب الإمام على رضى الله

عنه ونصائحه ، ومواعظه ، ما فيه الكفاية ، بعد كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لمن أراد التضلع والاستزادة من النصح والارشاد

شعره

جاء فى كتاب ترجمة على بن أبى طالب للاستاذ أحمد زكى صفوت المدرس بدار العلوم سابقاً ما يأتى :

يعزى الى الامام على كرم الله وجهه ديوان شعر فيه زهاء ألف وأربعمائة بيت أكثرها فى الحكمة ، والزهد ، والابتهال ، وهو فى جملته ضعيف الصناعة ، وقد عزاه بعضهم الى الشريف الرضى جامع نهج البلاغة ولم يصح منه إلا النزر النادر اليسير ، مما تجيش به نفسه فى مواطن النزال ، ومصارعة الأبطال ، فى عدم المبالاة ، أو عند استحسان بلاء من أبلى فى وقائعه أيام صفين من القبائل كهمدان وربيعة

فمن ذلك ما ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء عن أبى عثمان المازنى من أنه لم يصح أن علياً تكلم من الشعر بشىء غير هذين البيتين وصوبه الزمخشرى :

« تلكم قريش تمنانى لتقتلنى فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا »

« فان هلكت فرهن ذمتى لهم بذات ودقين لايعفو لها أثر »

(ذات ودقين ـ الداهية)

وقال ابن رشيق القيروانى فى كتابه العمدة : من شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان مجوّداً ، ماقاله يوم صفين يذكر هَمدان ونصرهم إياه :

« ولما رأيت الخيل ترجم بالقَنا فوارسُها حمر النحور دوامى »

« تيممت هَمدان الذين هم هم اذا ناب دهر جُنتى وسهامى »

« فجاوبنى من خيل همدان عصبة فوارس من همدان غير لئام »

« فخاضوا لظاها واستطار واشرارها وكانوا لدى الهيجا كأسد ضِرام »

وذكر ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد : أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال فى حضين بن المنذر صاحب رايته بصفين :

« لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حُضين تقدما »

« يقدمها فى الصف حتى يزيرها حياض المنايا تقطر السم والدما »

« جزى الله عنى والجزاء بكفه ربيعة خيراً ما أعف وأكرما »

وقال فى همدان :

« لهمدان أخلاق ودين يزينهم وبأس إذا لاقوا وحسن كلام »

« فلو كنت بوابًا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام »

وذكر الطبرى فى تاريخه، وهو ممن يوثق بأخباره : إن لعلى رضى الله عنه أشعاراً وأرجازاً قالها حين البيعة، وفى وقعة الجمل، ووقعة صفين .

فمن رجزه فى وقعة الجمل

« يالهف نفسى على ربيعة ربيعة السامعه المطيعة »

وفى وقعة صفين :

« أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية[١] »

وذكر المسعودى فى كتابه مروج الذهب بعض أرجازه فى صفين وفى قتال الخوارج ، فمن رجزه فى قتال أهل النهروان :

« يأيها ذا المبتغى عليّا إِنى أراك جاهلا شقيّا »

« قد كنت عن كفاحه غنيا هلم فابرز ها هنا إليا »

وكان علىّ كثيراً مايذكر هذين البيتين :

« أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا »

« ولا تجزع من الموت إذا حلّ بناديكا »

وذكر أبو على القالى ، فى كتابه الأمالى، بضعة أبيات له فى الفخر :

« إذا المشكلات تصدّين لى كشفت حقائقها بالنظر »

« وإن برقت فى مخيل[٢] الصوا ب عمياء لايجتليها البصر »

---

(١) البطن (٢) المخيل : السحاب الذى يخال فيه المطر

« مقنَّعة بغيوب الأمور وضعت عليها صحيح الفكر »
«لساني كشقشقة[١] الأرحبى[٢] أو كالحسام اليمانى الذكر »
« ولست بامَّعة[٣] فى الرجال يسائل هـذا وذا ما الخبر »
«ولكننى مذرب[٤] الأصغرين[٥] أبين مما مضى ماغـبر »

وذكر المرحوم الشيخ حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف فى كتابه المواهب الفتحية . وقد قال الشَّعبى : كان أبو بكر شاعراً ، وكان عمر شاعراً ، وكان عثمان شاعراً ، وكان علىّ أشعر الثلاثة والله أعلم

(١) الشقشقة : مايخرجه البعير من فيه اذا هاج
(٢) الأرحبي : نسبة الى (أرحب) قبيلة من همدان
(٣) أمعة : الرجل الذى لارأى له ولا عزم
(٤) مذرب : حاد ماض
(٥) الأصغران : القلب واللسان

كلمة عامة فى على بن ابى طالب

إن عليًّا - كرم الله وجهه - نشأ فى الإسلام منذ صباه ، فلم تمازجه عادات الوثنية والجاهلية ، وقد ترعرع فى حضن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ملازمًا له ، وفى سبيله مستميتًا ،فكانت له المواقف الخطيرة بين يديه ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام يعطف عليه ، ويحبه كثيراً كما ذكر فى أحاديثه ، وقد اشتهر رضى الله عنه بالشدة ، والورع ، وعدم المداجاة

فلما ولىَ الخلافة سار فيها بهذه الأخلاق الفاضلة ، وكان العرب قد ابتعدوا قليلاً عن حياة السذاجة، فلم تكن الشدة تقع لديهم موقعًا مرضيًا شأنها فى عهد عمر

ولم يستمع علىّ رضى الله عنه لنصح الناصحين بالتساهل مع معاوية وغيره ، فاتسعت دائرة الفتنة، وحدث ماحدث من الحروب الداخلية (الواردة فى كتب التاريخ)

وكان العرب من جهة ثانية قد شعروا بالحياة الناعمة ، والرفاهية ، وأخذ حب الجاه والمركز يقوى فى نفوس بعض رجالهم ، فكان ذلك أيضًا سببًا من أسباب كثرة الخلاف ؛ بل ان هـذا من الأسباب

الرئيسية التى حملت معاوية وعمراً وطلحة والزبير على الخلاف ، وقد كانت الحروب الداخلية مانعـاً قوياً ، منع المسلمين من الاستمرار فى فتوحاتهم الخارجية ، فلم تتسع البـلاد التى دخلت فى حوزة العرب أكثر مما كانت عليه فى عهد عثمان رضى الله عنه ، هذا الى أن الفتن الداخلية قد فتحت باباً لـكثرة الفرق الإسـلامية من شيعة [١] ، وخوارج [٢] ، وأوجدت تباعداً بين قلوب المسلمين فنفر بعضهم من بعض فى أقطار الحجاز والعراق والشام نفوراً كان سبباً فى تكرار الفتن ودس الدسائس من حين إلى حين

وكان علىٌّ ممتازاً بخصال قلما اجتمعت لغـيره وهى : الشجاعة ، والعفة ، والفصاحة

١ - فأما الشجاعة فقد كان محـله منها لايجهل ، وقف المواقف المشهودة المعهودة ، وخاض غمرات الموت ، لايبالى أوقع على الموت ،

---

(١) الشيعة هم الذين نصروا علياً رضى الله عنه على خصومه، وظلوا متحزبين له ولابنائه من بعده،وكثيراً ماخرجواضد خلفاء الأمويين ثم العباسيين انتصاراً لأبناء على مع تعصبهم فى حبه وحب أبنائه وهم فرق عديدة

(٢) أما الخوارج فهم الذين خرجوا على على ومعاوية لأنهما فى نظرهم مصدر الفتن بين المسلمين . وقد تكرر خروج الخوارج ضد خلفاء بنى أمية اعتقاداً منهم بأنهم يتولون حكم المسلمين بغير حق وصلاحية وكانوا يظهرون الورع والتقوى ويستميتون فى حروبهم ضد جيوش الخلفاء الأمويين وأنصارهم وهم فرق عديدة

أم وقع الموت عليه ؟ وأول ما عرف من شجاعته مبيته موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ، وهو يعلم أن قوماً يترصدونه، حتى إذا خرج قتلوه ، فلم يكن ذلك مما يضعف قلبه أو يؤثر فى نفسه

ثم فى واقعة بدر ، وما بعدها من المشاهد ، كان علماً خفاقاً لايخفى مكانه ، يبارز الأقران فلا يقفون له ، ويفرق الجماعات بشدة هجماته ، وقد آتاه الله من قوة العضل ، وثبات الجنان ، القسط الأوفر ، أغمد سيفه مدة أربع وعشرين سنة ، حتى اذا جاءت خلافته جرده على مخالفيه ، ففعل الأفاعيل ، وكان الناس يهابون مواقفه ، ويخشون مبارزته ، لما يعلمون من شدة صولته، وقوة ضربته

٢ — وأما الفقه فلم يكن مقامه فيه مجهولا ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ صباه ، وأخذ عنه القرآن الكريم ، وكان يكتب له مع ما أوتيه من ذكاء بنى عبد مناف ثم بنى هاشم ، ولم يزل معه الى أن توفى عليه السلام . كل هذا أكسبه قوة فى استنباط الأحكام الدينية ، فكان الخلفاء (أبو بكر وعمر وعثمان) يستشيرونه فى الأحكام، ويرجعون الى رأيه إذا خالفهم فى بعض الأحيان ، وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب

٣ — وأما الفصاحة ، فيعرف مقداره فيها من خطبه ، ومكاتباته

الواردة فى كتاب نهج البلاغة ، هذه الصفات العالية مع مامنحه الله من شرف القرابة للرسول، صلى الله عليه وسلم ، ومصاهرته له ، جعلته يرى لنفسه فضلاً على سائر قريش ، صغيرها وكبيرها ، شيخها وفتاها ، ويرى بذلك له الحق فى ولاية الأمر دونهم ، وهذا كان من أكبر الأسباب فى عدم استقامة الأمر له (كما جاء فى كتب التاريخ)

...

وبالجملة فان حياة هذا البطل تظهر لنا مواطن العبقرية فى أرفع الأبطال الذين أنجبهم الشرق الإسلامى ، وتظهر لنا مناحى البطولة فى نفسه الرفيعة الأنوف ، وتشرح لنا سر المأساة التى انتهت بالرجل الى أن يموت بالسيف (وهو صاحب القلم والسيف)

هذه الحياة ينطوى تحتها سر هذا العلم الذى خفق على سطح الأرض ثلاثاً وستين عاماً ، والشهاب الراصد الذى تعلقت به قلوب الناس ، فأبت أن ترده الى التراب ، وإنما ردته الى السماء ، ولبثت تنتظر أن يعود اليها يحمل نور السماء

فما كان الرجل فى حياته بضعة من الأرض فحسب ؛ بل روح من العلا اتخذها الله من أشرف ذريات آدم عليه السلام ، وأفاض عليها النور فى فجر الإسلام المجيد ، فكانت أجمل صورة يرتسم فيها جلال المؤمن ، أو الإنسان المؤمن ، أو الإنسان الكامل

٥ — عمر بن عبد العزيز

خامس الخلفاء الراشدين

عمر بن عبد العزيز هو خامس الخلفاء الراشدين ، بشهادة إمامين جليلين من أئمة الإسلام وهما : الإمام سفيان الثورى رحمه الله ، وهو إمام من أئمـة المسلمين ، وعَلم من أعلام الدين ، توفى بالبَصرة سنة إحدى وسبعين ومائة ؛ والإمام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنهما ، فكل منهما قال : الخلفاء الراشدون خمسة :

أبو بكر . وعمر . وعثمان . وعلى . وعمر بن عبد العزيز

. . .

نسبه — هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز ، بن مروان ، بن الحكم ، القرشى ، الأموى . وأمه أم عاصم ، ليلى بنت عاصم ، ابن سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه

مولده — وُلد بحلوان إحدى ضواحى القاهرة ، سنة إحدى وستين للهجرة (فهو يُعد مصريًا ، وإن كان أصله عربيًا)

نشأته — نشأ فى عز ونعيم ، لأن والده عبد العزيز بن مروان كان واليًا على مصر وحاكمها ، أرسله الى المدينة ليتعلم بها ، فأخذ العلم عن

أنس بن مالك ، وغيره من العلماء الأكابر ، فأورثه العلم إيماناً صادقاً ، وكان يتشبه بجده عمر بن الخطاب ، فنشأ زاهداً عفيفاً ، ويرجع الفضل فيه إلى بيت عمر بن الخطاب ، وإلى أثر الوراثة الطيبة ، بعد فضل الله عليه

خلافته

ولى الخلافة سنة تسع وتسعين من الهجرة بعد ابن عمه سليمان بن عبدالله ، وذلك أن سليمان أوصى له بها حين احتضر ، وآثره على يزيد ومسلمة ابنى عبد الملك ، فظهرت عليه علامات الاستياء ، لما يعلم فى الخلافة من عظيم التبعات ، واستقبلها بحزم وعزم ، وترك زينة الدنيا وزخرفها ، وقدم عليه وفود الشعراء للتهنئة فلم يأذن لهم ، وقال لابنه : قل لهم ﴿إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يونس

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

« أنت ابن عبد العزيز الخير لارهق
عمر الشباب ولا أزرى بك القدم »

« تدعو قريش وأنصار الرسول له
أن يمتعوا بأبى حفص وما ظلموا »

« راحوا يحيون محموداً شمائله
صلت الجبين وفى عرنينه شَمم »

« يرجون منك ولا يخشون مظلمة

غرفاً وتمطر من معروفك الديم »

« أحيا بك الله أقواماً فكنت لهم

نور البلاد الذى تُجلى به الظُلم »

« لم تلق جَدّا كأجداد يعدهم

مروان ذو النور والفاروق والحكم »

« أشبهت من عمر الفاروق سيرته

سن الفرائض وائتمت به الأمم »

« ألفيت بيتك فى العلياء مكّنه

أسُّ البناء وما فى سورها هدم »

* * *

« يا أعظم الناس عند العفو عافية

وأرهب الناس صولات اذا انتقموا »

« قد جربت مصر والضحاك أنهم

قوم اذا حاربوا فى حربهم قحم »

« هلا سألت بهم مصر التى نكثت

أو راهطاً يوم يحمى الراية البهم »

« عبد العزيز الذى سارت برايته
تلك الزحوف الى الأجناد فاصطدموا »
« ما كان من بلد يعلو النفاق به
إلا لأسيافكم ممن عصى أُحَم »
« عبد العزيز بنى مجداً ومكرمة
إن المكارم من أخلاقكم شيم »

ولم يكن عمر بن عبد العزيز كغيره من الخلفاء السالفين الذين كانوا يجودون على الشعراء بالكثير من الصلات والجوائز ، فلم يعط جريراً سوى أربعة دنانير قائلا له : خذها فانها والله من خالص مالى

فخرج جرير من عنده وهو يقول: جئتكم من عند خليفة يمنع الشعراء ويعطى الفقراء، وإنى عنه لراضٍ

وقدم عليه وفود أهل كل بلد لتهنئته ، فتقدم اليه وفد أهل الحجاز فاشرأب منهم غلام للكلام ، فقال عمر : ياغلام ليتكلم من هو أسن منك

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فاذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ؛ ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحق منك بمجلسك هذا

فقال عمر : صَدقت . تكلم ، فهذا هو السحر الحلال

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ؛ نحن وفد التهنئة ، لا وفد الترزئة ، ولم يقدم أحد منا اليك ، رغبة ولا رهبة ، لأننا قد آمنا فى أيامك ماخفنا ، وأدركنا ماطلبنا ، فأعجب عمر بكلامه ، وسأل عن عمره ، فقيل له : عشر سنين

فقال عمر : ارفعوا الغلام فوق مرتبته

حالته قبل الخلافة وبعدها

كان عمر بن عبد العزيز أعظم أموى ترفهاً وتملكاً ، غذى بالملك ، ونشأ فيه ، لايعرف إلا هو . تعصف ريحه ، فتوجد رائحته فى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى (العمرية)

فكان الجوارى يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها ، وانه ترك كل شىء كان فيه لمَّا استخلف ، غير مشيته ، فانه لم يستطع تركها ، ولم يزل على ذلك حتى ولى الخلافة ، فزهد فى الدنيا ورفضها ، فكان رحمه الله فى أول نشأته يحب النعيم والترف كغيره من أبناء الأمراء والعظماء

يدلنا على ذلك مارواه البخارى فى التاريخ عن حجاج الصواف قال : أمرنى عمر بن عبد العزيز ، وهو والٍ على المدينة المنورة ، وحاكم عليها أن أشترى له قميصاً ، فاشتريته بأربعمائة درهم ، فلماعرضته عليه ،

ولمسه لم يرض به ، ولم يقنع ، بل قال : ما أخشنه ! ولما ولى الخلافة أمرنى أن أشترى له قميصاً وألَّا أغلو فى ثمنه ، فاشتريته بأربعة عشر درهمًا، فلما رآه ولمسه قال : سبحان الله ما ألينه ! وهل يلبس المسلمون مثل هذا ؟

ويشبه هذا ماحُكى: أنه رضى الله عنه كان له غلام مملوك لزمه منذ كان واليًا على المدينة يقال له (درهم) واختصه بخدمته ، فقال له يوماً بعد أن صار خليفة للمسلمين :

ماذا ترى من حالنا الآن يادرهم ؟ فقال الغلام : أرى الناس بخير ماعداك وما عدانى . قال عمر : وكيف ذلك ؟ قال درهم : إنى عهدتك قبل الخلافة عطراً ، لبَّاساً ، فاره المركب ، طيب الطعام ، (أى انه كان متأنقًا فى الثياب والطعام والشراب والدابة التى يركبها والعطر الذى يتطيب به) فلما وليت الخلافة رجوت أن أستريح فزاد عملى ، وصرت أنت فى عناء ، فبكى عمر

وبعد أيام أحضر الغلام بين يديه ، ثم قال له : اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله وانصرف الى حيث تريد،ودعنى فيما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مَخْرجا . وعمر بن عبد العزيز أحد التابعين الموثوق بهم . قال الامام أحمد بن حنبل:ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز

عمر لا يكذب مطلقاً

وكان عُمر رضى الله عنه لا يكذب مطلقًا فمما يؤثر عنه : أنه خرج مع سليمان يريد الصائفة ، فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا ، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان ، فشكوا ذلك الى سليمان فأرسل الى عمر ، فقال له : ضرب غلمانك غلمانى . قال : ماعلمت . فقال له سليمان : كذبت . قال عمر : ما كذبت مذ شددت على إزارى ، وعلمت أن الكذب يضر أهله ، وأن فى الأرض عن مجلسك هذا لسعة

فتجهز عُمر يريد مصر ، فبلغ ذلك سليمان فشقّ عليه ، فدخلت فيما بينهما عمةٌ لهما فقال لها سليمان : قولى له يدخل على ولا يعاتبنى فدخل عليه عمر . فاعتذر اليه سليمان وقال له : يا أبا حفص ما اغتممت بأمر ، ولا أكربنى أمر ، إلا خطرت فيه على بالى ، فأقام

عمر يعظم مسجد الرسول ﷺ

كان عمر بن عبد العزيز ، إذ كان واليًا على المدينة ، إذا بات على ظهر المسجد (مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم تقربه امرأة إعظاماً لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

موافقة صلاة عمر صلاة النبي ﷺ

لما قدم أنس بن مالك ، خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، من العراق الى المدينة ، كانت تعجبه صلاة عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر أميرها ، فصلَّى أنس خلفه ، فقال : ماصليت خلف إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من إمامكم هذا ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يتم الركوع والسجود ، ويخفف القعود والقيام

أول عمل بدأ به عمر حين ولى الخلافة

لما ولى الخلافة أبطل بدعة من أقبح البدع ، وسنَّ بدلا منها سنة من خير السنن

فقد كان خطباء المنابر يوم الجمعة يختمون خطبهم بلعن الامام على ابن أبي طالب كرم الله وجهه حتى يربو على كراهته وكراهة ذريته ، فأمر الخليفة العادل أن يتركوا هذه البدعة الشنعاء ، وأن يختموا خطبهم بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل

وفى ذلك يقول كُثير عزة الشاعر :

« وَليتَ فلم تشتم علياً ولم تُخف بريئاً ولم تتبع مقالة مُجرم »

« تكلمت بالحق المبين وإنما تبينُ آيات الهُدى بالتكلم »

انصراف عمر عن مظاهر الخلافة
وإقباله على إحياء الكتاب والسنة

لما دفن سليمان ، وقام عمر بن عبد العزيز مقامه فى الخلافة ، قربت اليه المراكب ، فقال : ماهذه ؟ قالوا مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول مايلى

فتركها ، وخرج يلتمس بغلته ، وقال : يامزاحم ، ضم هذه الى بيت مال المسلمين

ونصبت له سرادقات وحجر ، لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تضرب للخلفاء أول مايُولون

فقال : ماهذه ؟ قالوا : سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول مايُولى . قال : يامزاحم ، ضم هذه الى أموال المسلمين

ثم ركب بغلته وانصرف الى الفرش والوطاء الذى لم يجلس عليه أحد قط ، يفرش للخلفاء أول مايُولون . فجعل يدفع ذلك برجله حتى

يفضى الى الحصير ، ثم قال : يا مزاحم ، ضم هذا الى أموال المسلمين

وبات عيال سليمان يفرغون الأدهان والطيب ، من هذه القارورة الى هذه القارورة ، ويلبسون مالم يلبس من الثياب حتى تتكسر ، وكان الخليفة إذا مات فما لبس من الثياب أو مسَّ من الطيب كان لولده ، وما لم يلبس من الثياب ، وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده ، فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان : هذا لك ، وهذا لنا . قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ، ومسَّ من الطيب ، فهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، فهو لك

قال عمر : ماهذا لى ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يامزاحم ، ضم هذا كله الى بيت مال المسلمين . ففعل ، فتآمر الوزراء فيما بينهم فقالوا : أما المراكب ، والسرادقات ، والحجر ، والشوار (اللباس والزينة ، ومتاع البيت) والوطاء ، فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ماقد علمتم ، وبقيت خصلة وهى : الجوارى ، نعرضهن فعسى أن يكون ماتريدون فيهن ، فان كان وإلَّا فلا طمع لكم عنده

فأتى بالجوارى ، فعرضن عليه كأمثال الدُمى (الصور المزينة) ، فلما نظر اليهن جعل يسألهن واحدةً واحدةً ، مَن أنتِ ؟ ولمن كنتِ ؟ ومَن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولمن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن الى أهلهن ، ويُحملن الى بلادهن حتى فرغ منهن

فلما رأوا ذلك يئسوا منه ، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق

واحتجب عن الناس ثلاثا لا يدخل عليه أحد ، ووجوه بنى مروان ، وبنى أمية ، وأشراف الجنود والعرب ، والقواد ببابه ، ينتظرون مايخرج عليهم منه ، فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعة من الحق ، فعرفوها، فرد المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا ، وزهد فيها ، وتجرد لإحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عز وجل ، فرحمه الله رحمة واسعة

نهيه عن القيام وما شرطه فى صحبته

لما ولى عمر بن عبد العزيز ، قام الناس بين يديه ، فقال : يامعشرَ الناس ان تقوموا نقم، وان تقعدوا نقعد ، فانما يقوم الناس لرب العالمين ، إن الله فرض فرائض ، وسنَّ سننًا ، من أخذ بها لَحِق ، ومن تركها مُحق ، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس : يوصل الينا حاجة من لاتصل الينا حاجته ، ويدلنا من العدل على مالانهتدى اليه ، ويكون عونًا لنا على الحق ، ويؤدى الأمانة الينا والى الناس ، ولا يغتب عندنا أحدا ، ومن لم يفعل فهو فى حرج من صحبتنا والدخول علينا

إبتداؤه بالسلام

وكان عمر بن عبد العزيز يتقدم الى الحرس إذا خرج عليهم ألاّ يقوموا اليه ، ويقول لهم : لاتبتدئونى بالسلام ، إنما السلام علينا لكم

عزمه على الاعتصام بالكتاب والسنة

وقال عمر بن عبد العزيز : سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووُلاة الأمر من بعده سننًا ، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله ، وقوة على دين الله ، ليس لِأَحد تبديلها ولا تغييرها ، ولا النظر فى أمر خالَفَها ، من اهتدى بها فهو مهتدٍ ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ، ولَّاه الله ماتولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا

قال محمد بن عبد الحكم : فسمعت مالكا يقول : وأعجبنى عزم عمر فى ذلك

صفاته ومناقبه

قد أجمع أهل العلم على أنه كان ذا علم غزير ، وعقل كبير ، وصلاح وفضل ، وزهد وورع وعدل ؛ أما شفقته على المسلمين ، ورحمته برعيته

وحسن سيرته فيهم ، فحدث عنها ولا حرج ، لم تشغله عبادة ربه عن رعيته ، ولم تحل بينه و بين مايصلحهم من جليل الأمور ودقيقها ، كما لم تقعده أعباء الخلافة ومتاعبها ، وما تقتضيه سياسة الملك من سهر ونصب عن قيامه بحق خالقه ، فكان رضى الله عنه يصرف النهار و بعض الليل أحيانا فيما يعود على الأمة بالخيرات ، فاذا مافرغ من ذلك أقبل على عبادة ربه شطراً من الليل

وكان يحب العدل ، ويكره الجور ، ولا يرى أفضل من الحق ، حتى أجمع العلماء على أنه من أئمة العدل ، ولنضرب أمثالا عن بعض مناقبه فنقول :

مثال من زهد عمر وطعامه

قال مالك بن زياد : يقولون مالك زاهد ، فأى زهد عندى ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا بما فيها فتركها

وقال ابن الحكم : لما ولى عمر بن عبدالعزيز ، زهد فى الدنيا ، ورفض ما كان فيه ، وترك أن يُخدم ، وترك ألوان الطعام ، فكان إذا صُنع له طعام هُيئ على شىء وغطى ، حتى اذا دخل اجتذبه فأكله

مثال من تواضعه

قال رجاء بن حَيوة : سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، و بينما نحن نتكلم إذا بالسراج قد اعتل واختل ، ولم يكن نوره جيداً ، فقمت أنا أريد إصلاح السراج ، فأمرنى عمر بالجلوس ، ثم قام هو بنفسه ، فأصلح السراج ، ثم عاد فجلس

فقال : قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبدالعزيز

(ومعنى ذلك أنه لم ينقص منه شىء بقيامه و إصلاحه المصباح بنفسه)

ثم قال : ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه

مثال آخر من تواضعه

عمر بن عبد العزيز

ناداه رجل فقال : ياخليفة الله فى الأرض . فقال له عمر : مَهْ ، إنى لما ولدت اختار لى أهلى اسماً ، فسمونى عمر ، فلو ناديتنى ياعمر أجبتك ، فلما كبرت اخترت لنفسى الكنى ، فكنيت بأبى حفص ، فلو ناديتنى يا أبا حفص أجبتك ، فلما وليتمونى أموركم سميتمونى أمير المؤمنين ، فلو ناديتنى يا أمير المؤمنين أجبتك ، وأما خليفة الله فى الأرض فلست كذلك ، ولكن خلفاء الله فى الأرض ، داود النبى عليه السلام وشبهه

قال الله تبارك وتعـالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ صٓ

مثال آخر من تواضعه

حكى سيدنا النضر بن سهل عن أبيه فقال :

قال عمر بن عبد العزيز لجاريته يوماً : روّحينى بالمروحة حتى أنام ، فروَّحته فنام ، وبينما هى تروحه غلبها النوم فنامت ، فلما انتبه سيدنا عمر وجدها نائمة ، فأخذ المروحة وجعل يروحها ، فلما قامت من نومها ورأت أمير المؤمنين يروّحها خجلت وخافت ، وصاحت وصرخت ، فقال لها سيدنا عمر بن عبد العزيز : لاتخافى ، إنمـا أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصابنى ، فأحببت أن أروحك كما روحتنى

فمن هـذه الحكاية يعلم مقدار تواضعه ، وكيف جعل نفسه مثل جاريته وخدمها كما خدمته ؟

مثال من حلمه

لمـا ولى سيدنا عمر بن عبد العزيز الخلافة ، خرج ليلة الى المسجد ومعه حرسىّ « رجل من الحرس » فلما دخل سيدنا عمر المسجد مرّ

فى الظلام برجـل نائم فعثر به ، فرفع الرجل رأسه اليه وقال له : أمجنون أنت ؟ فقال سيدنا عمر : لا . فاغتاظ الحرسىّ من ذلك؛ لأنه يوبخ الخليفة أمير المؤمنين ، وهمّ بأذية الرجل النائم ، ظنًا منه أنه يرضى أمير المؤمنين بأذيته ، فمنعه سيدنا عمر ، وقال له : ان الرجل لم يعمل شيئًا غير أنه سألنى ، أمجنون أنت ؟ فقلت : لا . فمن هـذه الحكاية يعلم ما كان عليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الحلم

مثال من تعجيله فى قضاء الحقوق

جاءت الى عمر بن عبد العزيز امرأة من أهل الكوفة فقالت : يا أمير المؤمنين ما أصبت أنا ولا بناتى مما قسم أمير المؤمنين قليلاً ولا كثيراً . قال : ومَن أنتِ ؟ قالت : العرفاء والمناكب . قال : ارجعى حتى العشية فأكتب لك

ثم قال : مَه . فلعلى لا أبلغ العِشاء ، ادخـلى على فاطمة بنت عبد الملك (يعنى زوجته) فبينما هى عند فاطمة إذ قام عمر فسكب وضوءاً لنفسه ، فقالت المرأة لفاطمة : ألَّا تَأخذين عليك ثيابك من هذا الرجل يرى رأسك مكشوفا ؟

قالت لها: أما تعرفين مَن هذا؟هذا أمير المؤمنين يسكب لنفسه وضوءاً

قالت المرأة : ثم دعانى وكتب لى كتابا

مثال من ورعه وتقواه وعبادته

مما يؤثر عنه : أنه كتب الى الولاة والعمال فى الأقاليم فقال :

لاتقيدوا مسجونًا فى سجنه ، لأن ذلك يمنعه من تمام الصلاة

ومما يدل على تمسكه بعرى الدين ، وحمل الرعية على أن تكون قائمة بما يجب من حق الله وحق الناس، أنه رضى الله عنه كتب الى جميع عماله كتابا يقول :

اجتنبوا كل مايشغلكم عن أداء الصلوات فى أوقاتها ، فمن ضيَّعها كان لما سواها أضيع ، وأنه خطب يوماً فقال : أما بعد ، فانه ليس بعد نبيكم نبى ، وليس بعد الكتاب الذى نزل عليه كتاب ، إن ماأحله الله فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام الى يوم القيامة ، ألَا وإِنى متبع ، ولست بمبتدع ،وهذه الخطبةواردة ضمن خطبه

وسُئلت فاطمة بنت عبد الملك (زوجة عُمر بن عبد العزيز) عن عبادة عمر ؟

فقالت : والله ما كان بأ كثر الناس صلاةً ، ولا أ كثرهم صياماً ، ولكن ، والله مارأيت أخوف لله من عمر ، لقد كان يذ كر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى تقول : ليُصبحن الناس ولا خليفة لهم

مثال من عدل عمر بن عبد العزيز

كان سيدنا عمر إماماً عادلاً ، وحاكماً رشيداً يكره الظالمين والجبارين، حتى الذين وطدوا الملك لبنى أبيه الأمويين ، واستعانوا على ذلك بظلم الناس وأذاهم

وكان يحذر ابن عمه سليمان فى أيام حياته أذى الناس ، وينهاه عن الظلم ، وقتل الخوارج ، ويقول له : احبسهم حتى يتوبوا

وفى ذات يوم عرض على سليمان أحد الخوارج ، فكلمه سليمان فأغلظ الخارجى فى القول ، وقال يخاطب الخليفة : نزع الله لحييك

فأرسل سليمان فى طلب عمر بن عبد العزيز ، فحضر فأخبره بما كان من الخارجى ، وبما وقع منه من السب والشتم ، فسكت عمر ولم يفه بكلمة ، فقال سليمان : لابد أن تفتينى فى شأن هذا الخارجى . فقال عمر : أرى أن تشتمه كما شتمك . فقال سليمان : ألست تفتى بقتله ؟ فقال عمر : لا يُقتل أحد بشتم أحد إلا رجل شتم نبيا

مثال من خلقه الكريم

جاءه رجل من أهل خراسان بعد أن تمت له البيعة فقال : يا أمير المؤمنين إنى رأيت فى منامى قائلا يقول : إذا ولى الأشج من بنى أمية

فانه يملأ الأرض عدلًا ، كما مُلئت جوراً ، وقد سَألت الناس ، فأخبرونى أنك أنت الأشج (يعنى الذى بوجهه أثر جرح من رفس دابة من دواب أبيه)

فلما سمع عمر قوله قال له : أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم . قال عمر : فبالذى أنعم به عليك أحق ماتقول ؟ قال الرجل : نعم ، فأمر عمر أن يقيم الرجل فى الضيافة ، ويراقب حتى لايفلت ولايهرب ، فمكث أكثر من شهر

وفى ذات يوم أرسل عمر فى طلبه ، فجاءوا به بين يديه ، فقال عمر للرجل : أتدرى لِمَ حبستك ؟ قال : لا . قال : إنى أرسلت إلى بلدك أسأل عنك ، فأثنى عليك الأصدقاء والأعداء ، فانصرف الى بلدك راشداً آمنا

هذه الحادثة تدل على ما كان عليه الخليفة الأموى الراشد من الخلق الكريم المتين ، فانه لم تخدعه قولة هذا الرجل الخراسانى ، ولم يغتر بها ، بل اتهمه فيما حدثه به ، ولذلك بعث الى عامله على خراسان يسأله عن حاله . ولما علم أنه ممن حسنت سمعته فى بلده . لم يجُزه بأكثر من أن يأمره بالانصراف وهو آمن على نفسه

مثال من رفقه ، وحسن معاملته لرعيته

كان عمر بن عبد العزيز من أكبر دعاة الإنسانية فى العالم ، ومن أعظم الذين أقاموا دعائم المساواة بين أفراد البشر على ظهر الأرض . فقد كانت أطفاله تخرج الى الطرقات وتختلط بأولاد الفقراء والمساكين فى الحارات ، وترتع وتلعب معهم

ولقد خرج ولد له فى يوم من الأيام،فأخذ يلعب مع أترابه فى السن فشج غلام وجهه ، وأسال منه الدم ، فأخذ الخدم الغلام الذى شجه وأدخلوه بيت الامارة لينظروا ماتأمر به زوجة الخليفة (وهى فاطمة بنت عبد الملك بن مروان) فسمع عمر جلبة فى البيت ، فانتقل من حجرته ليرى ماذا جرى ؟ فرأى غلاماً صغيراً يبكى ، وله أم مسكينة تتضرع الى زوجته لتغفر لابنها ذنبه وخطأه ، فسأل عمر عن سبب هذه الجلبة، فحدثوه بما كان، وأخبروه أن الغلام، الذى شج وجه ابنه، يتيم، وأن أمه أيم لازوج لها ، ومسكينة لاذنب عليها فيما اقترفه ولدها

فرقّ عمر لليتيم وأمه ، ورفق بهما ، وقال للخدم : اسألوا المرأة : أللغلام عطاء مع اليتامى ؟ (يعني سلوها هل له شيء مقدر فى بيت المال؟) فقالت : لا . فقال عمر : اكتبوه فى سجل اليتامى المستحقين للمعونة

فلما سمعت فاطمة زوجته قوله غضبت ، وقالت لعمر : ما أشد خوفى

على أبنائى من الفقراء واليتامى بعد الذى فعلت ! فالتفت اليها عمر وقال : إنهم أزعجوه كثيراً والله تعالى يقول :

﴿ وأَنْ تعفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ البقرة

ويقول ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران

فسكتت فاطمة ، وكظمت غيظها

فانظروا رحمكم الله الى شدة حلم سيدنا عمر بن عبد العزيز ، ورفقه بالضعفاء والمساكين واليتامى ، ومقابلته السيئة بالاحسان ، وهذا هو منتهى العدل والانسانية

مثال من عفته

أتت عمر بن عبد العزيز سِلَّتا رطب من الأُردُن ، فقال : ماهذا ؟

قالوا : رطب بعث به أمير الأردن . قال : علام جئ به ؟

قالوا : على دواب البريد . قال : فما جعلنى الله أحق بدواب البريد من المسلمين ، أخرجوها فبيعوها ، واجعلوا ثمنهما فى علف دواب البريد

قال ابن الحكم : فغمزنى ابن أخيه فقال لى : اذهب فاذا قامتا على ثمن فخذهما علىّ . قال : فأخرجتا الى السوق فبلغتا أربعة عشر درهماً ، فأخذتهما فجئت بهما الى ابن أخيه ، فقال : اذهب بهذه الواحدة الى

أمير المؤمنين ، وحبس لنفسه واحدة

قال فأتيته بها فقال : ماهذا ؟ قلت اشتراهما فلان ابن أخيك فبعث اليك بهذه ، وحبس لنفسه الأخرى ، قال : الآن طاب لى أكله

مثال من تعففه عن مال المسلمين

يحكى أن سيدنا عمر بن عبد العزيز كان يقسم تفاحا للمسلمين (والخليفة هو الذى كان يعمل ذلك) لأن كل أموال المسلمين كانت عند الخليفة . وبينما هو يقسم التفاح ويفرقه على أهله ، ومن يستحقه ، أخذ ابن له صغير تفاحة ، فقام اليه سيدنا عمر وفك يده ، وأخذ التفاحة من فمه ، ووضعها فى التفاح ، فذهب الولد يبكى الى أمه فلما علمت السبب أرسلت الى السوق فاشترت له تفاحًا

فلما رجع سيدنا عمر ووجد ريح التفاح قال لزوجته « يا فاطمة » هل أخذت شيئاً من تفاح المسلمين ؟ فقالت : لا . وأخبرته بما حصل

فقال لها : والله لقد انتزعتها من ابنى فكأنما انتزعتها من قلبى ، لكننى كرهت أن أضيع نفسى بتفاحة من فىء المسلمين

فمن هذه الحكاية يفهم جلياً ما كان عليه سيدنا عمر بن عبدالعزيز من الزهد والتعفف عن مال المسلمين

مثال آخر من عفته وزهده

مما يؤثر عنه فى العفة والزهد قال رجاء بن حَيوة :

أمرنى عمر بن عبدالعزيز أن أشترى له ثوبًا بستة دراهم ، فاشتريته له ، فجسّه فقال : هو على ما أحب لولا أن فيه لينًا

قال رجاء : فبكيت . قال : فما يبكيك ؟ قال رجاء : أتيتك وأنت أمير بثوب بستمائة درهم فجسسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة ؛ وأتيتك وأنت أمير بثوب بستة دراهم فجسسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه لينًا

فقال : يارجاء إن لى نفسًا تواقة ؛ تاقت الى فاطمة ابنة عبد الملك فتزوجتها ؛ وتاقت الى الإمارة فوليتها ؛ وتاقت الى الخلافة فأدركتها ؛ وقد تاقت الى الجنة ؛ فأرجو أن أدركها إن شاء الله تعالى

وكان عمر بن عبد العزيز كثيراً مايتمثل بهذه الأبيات :

« نهارك يامغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم »
« يغرك مايفنى وتفرح بالمنى
كما غر باللذات فى النوم حالم »
« وشغلك فيما سوف تكره غِبَّهُ
كذلك فى الدنيا تعيش البهائم »

مثال من أمانته وحرصه على مال المسلمين

جلس سيدنا عمر بن عبد العزيز ليلة للنظر فى قضايا المسلمين ، وقصص الرعية فى ضوء السراج (المصباح) فجاء غلام (خادم) له فكلمه فى مسألة ليست من مسائل المسلمين ، بل كانت تتعلق ببيته وأموره الخاصة ، فقال له سيدنا عمر : إطفئ السراج ثم حدثنى ، لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله إلَّا فى أشغال المسلمين

وضعه حلى زوجته فى بيت المال

قال سيدنا عمر لزوجته فاطمة بنت عبد الملك : قد علمت حال هذا الجوهر (حليها) وما صنع فيه أبوك ، ومن أين أصابه ، فهل لك أن أجعله فى تابوت ثم أطبع عليه وأجعله فى أقصى بيت مال المسلمين ؟ وأنفق ما دونه ، فان خلصت اليه أنفقته ، وان مت قبل ذلك فلعمرى لَيَرُدَّنه اليك ، قالت له : افعل ماشئت . ففعل ذلك ، فمات رحمه الله ولم يصل اليه ، فردّ ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك فامتنعت من أخذه وقالت : ما كنت لأتركه ، ثم آخذه ، فقسمه بين نسائه ونساء بنيه

مثال من محافظته على الوقت وعدم تأخيره العمل الى غد

كان سيدنا عمر بن عبد العزيز ينجز أعماله فى أوقاتها ، ولا يؤخر عمل اليوم للغد . قيل له : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت فروحت عن نفسك . قال : فمن يجزى عنى عمل ذلك اليوم ؟ فقيل له : تجزيه من الغد ؟ قال : لقد فدحنى (أثقلنى) عمل يوم واحد ، فكيف إذا اجتمع علىّ عمل يومين ؟

قيل له : فان سليمان قد كان يركب و ينتعش ويجرى عمله ، قال عمر : ولا يوم واحد من الدنيا أجزاه سليمان

استطلاعه حال رعيته

خرج يوماً راكباً يستطلع أخبار البلاد ، فلقى راكباً من أهل المدينة فسأله عن حالها فقال : إنى تركت المدينة . والظالم مقهور ، والمظلوم بها منصور ، والغنى موفور ، والعائل مجبور

فسرّ بذلك عمر وقال : والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب الى مما طلعت عليه الشمس

سخاؤه فى سبيل الله واكتفاؤه بالقليل

قال الحكم بن عمر الحمصى : ان أول عمل بدأ به عمر فى خلافته ، بيعه ما كان يملكه من متاع ومركب ولباس وغيره ، وقد بلغ ثمنها ثلاثة وأربعين ألف دينار جعلها فى سبيل الله ، وعين له درهمين فقط كل يوم لينفقهما فى معاشه

رأفته وشفقته بالحيوان

كتب عمر الى ولاته يحذرهم القسوة على الحيوان بتحميله مالايطيق، ويأمرهم بمعاقبة من يعذبه أو يشوّه خلقه أو يمثل به

عجز عمر عن نفقة الحج وشوقه الى الجنة

قيل : إن عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم مولاه :

إنى قد اشتهيت الحج فهل عندك شىء ؟ قال مزاحم بضعة عشر ديناراً . قال : وما تقَعُ مِنّى ؟

ثم مكث قليلاً ثم قال له : يا أمير المؤمنين تجهز ، فقد جاءنا مال سبعة عشر ألف دينار من بعض مال بنى مروان

قال عمر : اجعلها فى بيت المال ، فإن تكن حلالاً فقد أخذنا منها

مايكفينا ، و إن تكن حراماً فكفانا ما أصبنا منها

فلما رأى عمر ثِقَل ذلك علىّ قال : ويحك يامزاحم لايكبُرُ عليك شيء صنعته لله ، فان لى نفساً تواقة، لم تتق الى منزلة فنالتها إلَّا تاقت إلى ماهى أرفع منها، حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة ، و إنها اليوم قد تاقت الى الجنة

إيثاره بيت مال المسلمين على أولاده

قيل له : هؤلاء بنوك (وكانوا إثنى عشر) ألا توصى لهم بشىء فانهم فقراء ؟

قال : ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف

والله لا أعطيهم حق أحد ، وهم بين رجلين ، إما صالح فالله يتولى الصالحين ، و إما غير صالح فما كنت لأعينه على سفه

وصيته الى أولاده

قيل : لما حضرته الوفاة جمع أولاده ، وجعل يصوب نظره فيهم ، ويصعده ، حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، ثم قال : بنفسى فتية تركتهم ، ولا مال لهم . يابنى انى خيرت نفسى بين أن تفتقروا الى

آخر الأبد ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فاخترت الأول
يا بنى عصمكم الله ورزقكم ، وقد وكلت أمركم الى الله الذى نزّل
الكتاب ، وهو يتولى الصالحين

وكان عنده وقتئذ (مسلمة بن عبد الملك) فوهبه أربعين ألفا
ليفرقها على أولاده ، وقال له : عن طيب نفس فعلت ، فقال عمر :
« فرقها على من أخذت منه ظلماً »

فقال له مسلمة : لقد جمعت علينا قلوباً متفرقة ، وجعلت لنا فى
الصالحين ذكراً

آخر ماتكلم به عمر قبل وفاته

لما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة كان عنده مسلمة بن عبدالملك
وزوجته فاطمة والخِصى ، فقال : قوموا عنى ، فانى أرى خلقاًمايزدادون
إلاّ كثرة ، ماهم بجن ولا أنس

قال مسلمة : فقمنا وتركناه ، وتنحينا عنه ، وسمعنا قائلا يقول :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص

ثم خفت الصوت ، فقمنا ودخلنا ، فاذا هو ميت مغمض مُسجىًّ

تاريخ وفاته

مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة ١٠١ هجرية فى شهر رجب وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، فماتت معه الفضائل ، واندثرت الكمالات ، وقضى على العدل ، وكثر الإسراف والبذخ

قيل : ان أحد طلاب الدنيا من وراث الملك دسَّ له السم بيدخادم فى طعامه وشرابه ، فلما أحسَّ عمر بدنو أجله اشترى موضع قبره ، ولم يتجاوز مرضه تسعة أيام ثم ترك الجيفة لكلابها ، وأقبل على الآخرة معداً العُدة لحسابها

ورثاه جرير بقوله :

« يَنْعى النُّعاة أمير المؤمنين لنا ياخيرَ من حجَّ بيت الله واعتمرا»
« حُملت أمرا عظيما فاصطبرت له وصرت فيه بحكم الله ياعُمرا »
« فالشمس طالعة ليست بكاسفة تبكى عليك نجوم الليل والقمرا »

***

فرحم الله عمر ، ورحم رجال العدل والدين ، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، وانا لله وانا اليه راجعون ، وسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون

نبذ من خطبه وحكمه

١ — خطبة له فى أنه منفذ لأوامر الله

أيها الناس ، إنه ليس بعد نبيكم نبى ، وليس بعد الكتاب الذى أُنزل عليكم كتاب، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال الى يوم القيامة ، وما حرَّم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا أنى لست بقاض ، وإنما أنا منفذ لله ، ولست بمبتدع ولكنى متبع ، لست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، ألا انى أثقلكم حملاً

يأيها الناس ، إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم

٢ — خطبة له فى التقوى

يأيها الناس ، عليكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شئ ، ولا خلف من التقوى

أيها الناس ، انه قد كان قبلى ولاة تجترّون مودتهم ، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم

أيها الناس ، إنى لست بخازن ، ولكني أضع حيث أمرت ، ألَا ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم

٣ — خطبة له فى البعث

أيها الناس ، انى لم أجمعكم لأمر أحدثته ؛ ولـكنى نظرت فى أمر معادكم وما أنتم اليه صائرون ، فوجـدت المصدق به أحمق (أى من خالف أمر الدين وهو مصدق بالبعث والجزاء كان أحمق) والمـكذب هالـكاً ، ثم نزل

٤ — خطبة له فى الوعظ

أما بعد ، أيها الناس ، فلا يطولن عليكم الأمد ، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة ، فان من وافتْهُ منيته ، فقد قامت قيامته ، لايستعتب من شىء ، ولا يزيد فى حسن ، ألاَ لاسلامة لامرىء فى خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله

ألاَ وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصياً ، ألا وإن أولاهما بالمعصية الامام الظالم ، ألا وإنى أعالج أمراً لايعين عليه إلا الله ، قدفنى عليه الـكبير ، وكبر عليه الصغير ، وفصح عليه الأعجمى ، وهاجر اليه الأعرابى ، حتى حسبوه ديناً لايرون الحق غيره

ثم قال : إنه لأحبُّ الىَّ أوفر أموالكم وأعراضكم إلاَّ بحقها ، ولا قوة إلا بالله

٥ — خطبة له فى التذكير بالموت وحرصه على كفاية رعيته

أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثًا ، ولم تتركوا سدًى ، وإن لكم معاداً ينزل الله تبارك وتعالى للحكم فيه ، والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وحُرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيًا بباق

ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون ، حتى تردوا الى خير الوارثين ، ثم أنتم فى كل يوم تشيعون غادياً الى الله ، ورائحًا قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، ثم تغيبونه فى صدع من الأرض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب ، وخلع الاسلاب ، وواجه الحساب ، وسكن التراب ، مرتهنًا بعمله ، غنياً عما ترك ، فقير الى ماقدم

ثم قال : وايم الله ، إنى لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم وأتوب اليه ، وما أحد منكم تبلغنى حاجته إلا حرصت أن أسد من حاجته ماقدرت عليه وما أحد لايسعه ما عندى إلاَّ وددت أنه بدئ بى ، وبلُحمتى الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم

وايم الله إنى لو أردت غير هذا من رخاء أو غضارة عيش ، لكان اللسان به منى ذلولًا ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق ، أمرنى فيه بطاعته ، ونهانى فيه عن معصيته ، ثم رفع طرف ثوبه ووضعه على وجهه فبكى ، وأبكى من حوله ، ثم قال :

نسأل الله التوفيق والهدى ، والعمل بما يحب ويرضى

وهذه آخر خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله

نبذ من كتبه

١ — كتابه الى عماله فى رد المظالم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العمال

أما بعد ، فانى كنت كتبت اليكم برد المظالم ، ثم كتبت إليكم أن تحبسوها ، ثم كتبت اليكم بردها ، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور ، حتى قبضت أموالا قد كنت رددتها

ثم إنى رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها أحبُّ الىَّ من أن أحبسها حتى ينجلى الأمر من غدٍ على ماينجلى عنه ، فاذا جاءك كتابى هذا فارددها على أهلها والسلام

٢ — كتابه الى العمال بإطاعة الله واجتناب نواهيه

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العمال :

أما بعد ، فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وإن دين الله الذى بعث به محمداً صلى الله عليه وسلم كتابه الذى أنزله عليه ، أن يُطاع الله فيه ويتبع أمره ، ويجتنب مانهى عنه ، وتقام حدوده ، ويعمل بفرائضه ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعترف بحقه ، ويحكم بما أنزل فيه

فمن اتبع هدى الله اهتدى ، ومن صدّ عنه فقد ضل سواء السبيل

وان من طاعة الله التى أنزل فى كتابه ، أن يدعو الناس الى الإسلام كافة ، وأن يفتح لأهل الإسلام باب الهجرة ، وأن توضع الصدقات والاخماس على قضاء الله وفرائضه

وأن يبتغى الناس بأموالهم فى البر والبحر لايمنعون ولا يحبسون

٣ — وفى كتاب آخر

إنى آمرك فيما وليتك من عملى ، وأفضيت اليك من أمرى بتقوى الله ، وأداء الأمانة ، واتباع ما أمر الله به ، واجتناب مانهى الله عنه ،

وقلة الالتفات الى شىء خالف ذلك ، ليكون الذى آمرك به فى سيرتك ، والنظر فى نفسك وفى عملك وما تفضى به الى ربك ، وما تعمل به فيما بينك و بين الرعية قِبَلَك

وأنت تعلم علماً يقيناً أنه ليست نجاة ولا حرز إلا أن ينزل بذلك المنزل من طاعة الله

ودع أن ترصدَ شيئاً ليوم ترجوه أو تخافه ، سوى ماترجوه غداً من الله وتخاف منه ، فانك قد رأيت عبراً فى نفسك ، وعبراً ما مثلها وعظ مثلنا ، وكفى مثلاً ما أصابك الى حظك من الله ، والسلام

. . .

هذه هى خلاصة سيرة عمر بن عبد العزيز وفضائله ، ومن يطلع عليها يقول بحق : هكذا تكون الخلفاء ، وعلى سيرته فلتسر الملوك والأمراء ، و بمثله يقتدى العلماء ، والعظماء ، والأمراء

كلمة موجزة عن عمر بن عبد العزيز

لقد كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رجلاً صالحاً ، تقياً ، متعبداً ، ورعاً ، زاهداً ، وكان مع ذلك إماماً عادلاً ، رشيداً سائساً ، محباً للرعية ، مشفقاً عليها ، رفيقاً بها ، محسناً اليها ، أميناً على أموالها ، لم تشغله عبادة ربه عن النظر فى شئون رعيته ، ولم تحل بينه وبين مايصلحهم من جليل الأمور ودقيقها ؛ كما أنه لم تقعد به أعباء الخلافة وأوزارها ، وما تقتضيه سياسة الملك من سهر ونصب عما عليه لله من عبادة وطاعة

فكان رضى الله عنه يصرف النهار وبعض الليل أحياناً فيما يعود على الأمة بالخيرات ، فاذا مافرغ من ذلك إذا « هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه »

ولما كان سيدنا عمر بن عبد العزيز من أولى الصلاح والتقى كان الناس فى أيامه يتساءلون عن العبادة وتلاوة القرآن

وإذاً فكما أن الملوك على غِرار (أى على مثال) رعيتهم كذلك الناس على دين ملوكهم ، وإذا كان العلم كما يقال بالتعلم ، والخلق بالتخلق ، كان حقاً على كل واحد أن يقرأ سيرة هذا الخليفة الصالح ، لما فيها من مكارم الأخلاق ، ودلائل الخيرات ، ويأخذ نفسه بما تحويه من نفائس الحكم ومحاسن العظات

فان كان حاكماً تعلم منها سيرة العدل وسياسة الرعية ، فيكون له من حب الأمة وانقيادها له مايتمتع بأثره فى حياته ، ثم يجد حين ينقلب الى ربه بعدلته حسن ثوابه

وإن كان عالماً تعلم منها مايجب على العلماء من حسن المنطق والعمل بالعلم ، وما ينبغى لهم من مناصحة الرعاة ، وإظهارهم على مايبدو لهم من زلل أو خطل، حتى يؤدوا ما بأعناقهم من حق الله وحق العلم ، ويقوموا بما أمر الله به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبث العلم بين الناس

وإن كان غنياً تعلم منها كيف يستثمر الخير بما أعطيه من ثروة ، وكيف يضع المال مواضعه ؟ فيجود به على الفقراء الذين لايستطيعون حيلة ولا ضرباً فى الأرض ، ويعود به على الضعفاء والمساكين ، وينفقه فى سبيل الله وعمل البر ، فيجد بذلك من اللذة والسعادة فى الحياة الدنيا ماتتصل به سعادة الحياة الآخرة فيدرك خير الدارين وينقلب بكلتا الحسنيين

وإن كان من أهل الخصاصة تعلم منها القناعة والعفاف ، والرضا بالكفاف ، فلم تذهب نفسه حسرات على الغنى ، ولم يَغش فى سبيله غير سبيل التقى ، فيعيش بعزة عيش الأغنياء ، ويظفر حين يرجع الى الله بأجر الأتقياء

وإن كان ممن أصابه الدهر بشيء من نكباته فأطار طائر صبره ، وولج به فى ظلمات اليأس ، وحوالك اللجاجات ، علمه بما فيه من صنوف الحكمة وضروب الأمثال ، كيف يكون الصبر على الأرزاء ، والرضا بالقضاء ، فيستشعر قلبه برد الراحة واليقين ، ويكون من الذين ﴿ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

وإن كان من غير أولئك وهؤلاء ، فهو لابد واجد فى سيرة هذا الرجل العظيم والإمام الكريم مايصلحه فى الحياة، وينفعه بعد الممات

انتهى بعون الله الجزء الثالث من كتاب أحسن القصص فى يوم الجمعة ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٣. ويليه ان شاء الله الجزء الرابع وهو يشمل خلاصة سير أئمة الدين والصالحين

وختاماً أسأل الله أن يوفقنا للعمل بشريعة المصطفى وأن يحيينا ويميتنا على سنته

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه فى المبدأ والختام م؟

السيد على فكرى

ابن المرحوم

السيد محمد عبد الله

فهرس

الصفحة الموضوع

الصفحة الموضوع